المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحرّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورةُ المُزَّمِّلِ، سُورةُ المُدَّثِّرِ، سُورةُ القيامةِ، سُورةُ الإنسانِ، سُورةُ المُرسَلاتِ

(المجلَّدُ الحادي والأربعونَ)

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المُزَّمِّلِ

سُورةُ المُزَّمِّلِ

سورةُ المُزَّمِّلِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المزَّمِّل).[1]

سورةُ المزَّمِّلِ مَكِّيَّةٌ،[2] وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.[3]

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

التَّوجيهُ إلى ما يُتزوَّدُ به؛ لتحمُّلِ ثِقلِ أعباءِ الدَّعوةِ.

---

(1) وجهُ تسميةِ السُّورةِ بهذا الاسمِ: افتِتاحُها بهذا اللَّفظِ الواقِعِ في أوَّلِها في قولِه: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (486/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (252/29).

(2) وقيل: السُّورةُ مَكِّيَّةٌ إلَّا آيتَينِ منها؛ قولَه: وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ...

[المزمل: 10] والَّتي بعدها، فمَدَنيَّتانِ.

وقيل: إلَّا قولَه تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ [المزمل: 20] إلى آخرِ السُّورةِ؛ فإنَّ ذلك نزَل بالمدينةِ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (357/23)، ((تفسير الماوردي)) (124/6)، ((الوسيط)) للواحدي (371/4)، ((تفسير ابن عطية)) (356/5).

(3) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ الجوزي.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (352/4).

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- أمْرُ النَّبيِّ - ﷺ - بقيامِ اللَّيلِ.

2- تثبيتُ النَّبيِّ - ﷺ - بتحمُّلِ إبلاغِ الوَحيِ.

3- الأمرُ بالصَّبرِ على جفاءِ الكُفَّارِ.

4- تهديدُ الكافِرينَ، وبيانُ بَعضِ ما أعَدَّه اللهُ لهم مِن عذابٍ.

5- وعْظُ الكافِرينَ بما حَلَّ بقَومِ فِرعَونَ لَمَّا كَذَّبوا رسولَ اللهِ إليهم.

6- ذِكرُ يومِ القيامةِ، ووَصفُ أهوالِه.

7- التَّسهيلُ والمسامحةُ في قيامِ اللَّيلِ.

8- الأمرُ بإدامةِ إقامةِ الصَّلاةِ، وأداءِ الزَّكاةِ، وإعطاءِ الصَّدَقاتِ، والأمرُ بالاستغفارِ مِن الذُّنوبِ والعِصيانِ.

سورةُ المُزَّمِّلِ

الآيات (1–9)

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ
وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا
وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا
(8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9)

غريب الكلمات:

الْمُزَّمِّلُ: أي: المتَلَفِّفُ في ثيابِه، وأصلُه: المتَزَمِّلُ: أُدغِمَت التَّاءُ في الزَّاي، والتَّزَمُّلُ: الالتِفافُ في الثِّيابِ بضَمٍّ وتشميرٍ، وأصلُ التَّزَمُّلِ مُشتَقٌّ مِنَ الزَّمْلِ: وهو الإخفاءُ، وقيل: المزَّمِّلُ: الَّذي زُمِّلَ أمْرًا عظيمًا هو أمرُ النُّبوَّةِ، أي: حُمِّلَه، والزِّمْلُ: الحِمْلُ، وازْدَمَلَه أي: احتمَلَه، وأصلُ (زمل) على ذلك: يدُلُّ على حَمْلِ ثِقْلٍ مِن الأثْقالِ.

وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا: أي: بَيِّنْه تبيينًا، واقرَأْه على تمهُّلٍ، والتَّرتيلُ في القراءةِ: التَّبْيينُ لها، وإشباعُ الحرَكاتِ، وبيانُ الحروفِ، كأنَّه يَفْصِلُ بيْنَ الحرفِ والحرفِ، ومنه قيل: ثَغْرٌ رَتِلٌ ورَتَلٌ، إذا كان مُفَلَّجًا لا يَركَبُ بعضُه بعضًا، والرَّتَلُ: اتِّساقُ الشَّيءِ وانتِظامُه على استِقامةٍ، والتَّرتيلُ: إرسالُ الكلمةِ مِن الفَمِ بسُهولةٍ واستِقامةٍ.

نَاشِئَةَ اللَّيْلِ: أي: آناءَ اللَّيلِ وساعاتِه، مأخوذةٌ مِن: نَشَأَتْ نَشْأً، أي: ابتَدَأَتْ، وأقبَلَت شيئًا بعدَ شَيءٍ. وقيل: النَّاشِئةُ: القيامُ، مَصدَرٌ جاء على فاعِلةٍ، كالعافيةِ بمعنى العَفوِ. فهي بمعنى: قيامِ اللَّيلِ، والنَّاشِئةُ إنَّما تكونُ بعدَ النَّومِ، يُقالُ: نشَأَ: إذا قام بعدَ النَّومِ، وأصلُ (نشأ): يدُلُّ على ارتفاعٍ في شَيءٍ.

وَطْئًا: أي: كُلْفةً ومَشَقَّةً، مِن قَولِك: اشتَدَّت على القَومِ وَطْأةُ سُلْطانِهم: إذا ثَقُل عليهم ما يُلزِمُهم ويأخُذُهم به. وقيل: أي: أوطَأُ للقيامِ، وأسهَلُ للمُصَلِّي مِن ساعاتِ النَّهارِ، وأصلُ (وطأ): يدُلُّ على تمهيدِ شَيءٍ وتَسهيلِه.

وَأَقْوَمُ قِيلًا: أي: أصْوَبُ قِراءةً، وأصحُّ قولًا، وأسَدُّ مقالًا، وقيل: أخلَصُ للقَولِ وأسمَعُ له، وأصل (قوم) هنا: يدُلُّ على انْتِصابٍ أو عَزْمٍ.

سَبْحًا: أي: تصَرُّفًا وتقلُّبًا في مُهمَّاتِك وحَوائجِك وأشغالِك، أو: فراغًا طويلًا، وسَعةً لتصَرُّفِك، وقضاءِ حوائجِك، قيل: أصلُ السَّبْحِ: سُرعةُ الذَّهابِ، وقيل: السَّبْحُ: التَّباعُدُ، فالمعنى: مُتباعَدًا في المَذهبِ والمُدَّةِ لِما تُريدُ مِن قضاءِ حوائجِك، وأصلُ (سبح) هنا: جِنْسٌ مِن السَّعْيِ.

وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا: أي: انقَطِعْ إليه في العبادةِ انقِطاعًا، والتَّبَتُّلُ: الانقِطاعُ، وهو تفَعُّلٌ مِنَ البَتلِ: وهو القَطعُ، ومنه سُمِّيَت مَريمُ: البَتُولَ؛ لانقطاعِها عن الأزواجِ، وأصلُ (بتل): يدُلُّ على إبانةِ الشَّيءِ مِن غَيرِه.

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا: أي: حافِظًا ومُدَبِّرًا لأمورِك كلِّها، قائمًا بها، ففَوِّضْها إليه، والوكيلُ هو القائمُ بالأمورِ، والَّذي تُوكَلُ إليه الأشياءُ، فَعيلٌ بمعنى المفعولِ، والتَّوكيلُ: أن تَعتمِدَ على غيرِك وتَجعَلَه نائبًا عنك، وأصلُ (وكل): يدُلُّ على اعتِمادِ غيرِك في أمرِك.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1).

أي: يا أيُّها الَّذي التَفَّ بالثِّيابِ وضَمَّها عليه، يعني: النَّبيَّ محمَّدًا – ﷺ –.[4]

قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2).

أي: قُمْ –يا محمَّدُ– كلَّ اللَّيلِ للصَّلاةِ فيه إلَّا قليلًا منه، فاجعَلْه للرَّاحةِ والنَّومِ.[5]

كما قال الله تبارك وتعالى: كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات: 17، 18].

---

(4) للسلف في معنى: ﴿المزمل﴾ قولان: الأول: أنه مُتَزَمِّل في ثيابه.
الثاني: أنه مُتَزَمِّلٌ النبوةَ والرسالة.
وبيّن ابنُ عطية (٨/ ٤٤٠) أنّ القول بأنّ تَزَمُّله – ﷺ – بالثياب كان للصلاة أمدح له.
وقد رجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٣٥٨) –مستندًا إلى السياق– القول الأول، وعلل ذلك بقوله: «لأنه قد عقّبه بقوله: ﴿قم الليل﴾ فكان ذلك بيانًا عن أنّه وصفه بالتَزَمُّل بالثياب للصلاة، ومع أنّ ذلك هو أظهر معنييه».

(5) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٤٠) قولًا نسبه لجمهور أهل العلم: أنّ الأمر بقيام الليل كان على جهة الندب، ولم يُفرض قط.
ثم قال: «ويؤيد هذا: الحديثُ الصحيح أنّ رسول الله – ﷺ – قام ليلة في رمضان خلف حصير احتَجره، فصَلّى، وصَلّى بصلاته ناس، ثم كثُروا من الليلة القابلة، ثم غصّ المسجد بهم في الثالثة أو الرابعة، فلم يَخرج رسول الله – ﷺ –، فحصبوا بابه، فخرج مُغضبًا، وقال: «إني إنما تركت الخروج لأني خِفتُ أنْ يُفرض عليكم».
وقيل: إنه لم يُكلّمهم إلا بعد الصبح».
ثم ذكر قول مَن قال بوجوبه ثم نسخه.
ولم يُعلِّق عليه.

وقال سُبحانَه: وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا [الإنسان: 26].

نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3).

أي: قُمْ نِصْفَ اللَّيلِ، أو انقُصْ مِنَ النِّصفِ قَليلًا، فتُصَلِّي نحوَ ثُلُثِ اللَّيلِ.

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4).

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ.

أي: أو زِدْ في صَلاتِك على نِصفِ اللَّيلِ، فتُصَلِّي ثُلُثَيْه؛ فلا حَرَجَ عليك في قيامِ نِصفِ اللَّيلِ، أو أقَلَّ مِنَ النِّصفِ بقَليلٍ، أو أكثَرَ مِنَ النِّصفِ.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ((أنَّ نَبيَّ اللهِ – ﷺ – كان يقومُ مِنَ اللَّيلِ حتَّى تتفطَّرَ قَدَماه، فقالت عائِشةُ: لِمَ تَصنَعُ هذا يا رَسولَ اللهِ، وقد غفَرَ اللهُ لك ما تقَدَّمَ مِن ذَنْبِك وما تأخَّرَ؟! قال: أفلا أُحِبُّ أن أكونَ عَبدًا شَكورًا؟!)).(6)

وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا.

أي: واقرَأِ القُرآنَ بتمَهُّلٍ وتُؤَدةٍ وتَبيينٍ لحُروفِه بلا عَجَلةٍ؛ فيَكونَ ذلك عَونًا على التَّفكُّرِ فيه، وفَهْمِ مَعانيه.

---

(6) رواه البخاري (4837) واللفظ له، ومسلم (2820).

عن حَفْصةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رَسولُ اللهِ - ﷺ - يَقرَأُ بالسُّورةِ فيُرَتِّلُها حتَّى تكونَ أطْوَلَ مِن أطْوَلَ مِنها)).[7]

وعن قَتادةَ، قال: ((سألْتُ أنَسَ بنَ مالِكٍ عن قِراءةِ النَّبيِّ - ﷺ -، فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا)).[8]

وعن عبدِ الله بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ - ﷺ -قال: ((يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ: اقرَأْ وارتَقِ، ورَتِّلْ كما كُنتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا؛ فإنَّ مَنزِلَتَك عندَ آخِرِ آيةٍ تَقرَأُ بها)).[9]

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5).

أي: إنَّا سنُنزِلُ عليك -يا محمَّدُ- قُرآنًا ثقيلًا لِما فيه مِن التَّكاليفِ الشَّاقَّةِ، ورَزانةِ ألفاظِه؛ لامتلائِها بالمعاني مع جلالتِها، وما له مِن قَدْرٍ عَظيمٍ، وهو ثقيلٌ في الميزانِ، ولا يَقدِرُ الكافرُ على رَدِّه، أو الطَّعنِ فيه بوجهٍ.[10]

---

(7) رواه مسلم (733).

(8) أخرجه البخاري (5045).

(9) أخرجه أبو داودَ (1464)، والترمذيُّ (2914) واللَّفظُ له، والنسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (8056)، وأحمدُ (6799).

قال الترمذي: (حسَنٌ صحيحٌ).

وكذا قال الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2914).

وصَحَّحَه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (766)، وصحَّحَه لغيرِه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (1464)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (55/11).

(10) اتفق السلف على أنّ المراد بقوله: ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ القرآن، واختلفوا في معنى كونه ثقيلًا على أقوال:

الأول: ثقيل العمل به.

الثاني: أنّ عين الكلام ثقيل محمله.

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6).

أي: إنَّ ساعاتِ اللَّيلِ بعدَ القيامِ مِنَ النَّومِ: أثْقَلُ على المصَلِّي وأشَقُّ مِن صلاةِ النَّهارِ –لأنَّ اللَّيلَ وقتُ النَّومِ والرَّاحةِ والسُّكونِ– وأصْوَبُ قِراءةً وأصحُّ قَولًا؛ لهدوءِ النَّاسِ، وسُكونِ الأصواتِ.(11)

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1– قراءةُ: وِطَاءً أي: أشَدُّ مُوافقةً، والمعنى: أنَّ القراءةَ في اللَّيلِ يَتواطَأُ فيها قَلبُ المصَلِّي ولسانُه وسَمعُه على التَّفهُّمِ والأداءِ أكثَرَ ممَّا يتواطَأُ عليه ذلك في النَّهارِ.(12)

الثالث: ثقيل في الميزان يوم القيامة.

الرابع: ثقيل على الكفار والمنافقين بإعجازه ووعيده ونحو هذا.

ورجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٣٦٦) العموم، فقال: «وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يُقال: إنّ الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه».

وقال ابنُ تيمية (٦/ ٤١٣): «قوله: ﴿إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾ فقد فسّره أهل النّقل أنّ المراد به ثِقل الحكم؛ ولأنّ الكلام ليس بذات».

(11) رجّح ابنُ تيمية (٦/ ٤١٣) –مستندًا إلى السنة– أنّ ناشِئة الليل هي القيام بعد النوم، فقال: «وقوله تعالى: ﴿ناشئة الليل﴾ عند أكثر العلماء هو إذا قام الرجل بعد نوم، ليس هو أول الليل، وهذا هو الصواب؛ لأن النبي – ﷺ – هكذا كان يُصلّي، والأحاديث بذلك متواترة عنه، كان يقوم بعد النوم، لم يكن يقوم بين العشاءين».

(12) قرأ بها أبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (393/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (99/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 730).

2- قِراءةُ: وَطْئًا قيل: المعنى: أشدُّ مُكابَدةً؛ فقيامُ اللَّيلِ أشَدُّ على الإنسانِ وأثقَلُ مِنَ القيامِ بالنَّهارِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى جعَلَ اللَّيلَ سكنًا وراحةً. وقيل: معناه: أبيَنُ في القَولِ. وقيل: أثبَتُ في الحِفظِ. وقيل: معناه: أبلَغُ في الثَّوابِ.(13)

إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7).

أي: إنَّ لك -يا محمَّدُ- في النَّهارِ سَعَةً مِنَ الوَقتِ وفَراغًا طويلًا تتقلَّبُ فيه بالذَّهابِ والمجيءِ؛ لقَضاءِ حوائجِك وللنَّومِ؛ فتفرَّغْ في اللَّيلِ لقِيامِه.

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8).

أي: واذكُرْ -يا محمَّدُ- اسمَ ربِّك في كُلِّ وقْتٍ، وانقَطِعْ إليه مِن كُلِّ شَيءٍ يُلهيك عن طاعتِه انقِطاعًا تامًّا بالعبادةِ له وَحْدَه، وطَلَبِ الحاجاتِ منه دونَ غيرِه.

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب: 41، 42].

وقال سُبحانَه: وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الإنسان: 25].

---

(13) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/393).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (3/99، 100)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 730، 731).

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ [البينة: 5].

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9).

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

أي: هو خالِقُ ومالِكُ ومُدَبِّرُ المشرِقِ والمغرِبِ.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أي: لا مَعبودَ بحَقٍّ إلَّا اللهُ سُبحانَه وَحْدَه.

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا.

أي: فاتَّخِذِ اللهَ قائمًا بأمورِك، وفوِّضْها إليه، واعتَمِدْ عليه وَحْدَه دونَ مَنْ سِواه.

كما قال تعالى: وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ [هود: 123].

سورةُ المُزَّمِّلِ

الآيات (10–14)

وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ
قَلِيلًا (11) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13) يَوْمَ
تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (14)

غريب الكلمات:

وَذَرْنِي: أي: دَعْني، بوَزْنِ وَدَعَ الشَّيءَ يَدَعُه وَدْعًا، ومَعْناه، والمُضارِعُ منه: يَذَرُ، والأمْرُ منه: ذَرْ، ولم يَرِدْ في اللُّغةِ اسْتِعْمالُ ماضِيه ولا مَصْدَرِه.

النَّعْمَةِ: أي: الغِنى، وكَثرةِ الأموالِ، وحُسْنِ العَيْشِ، ولِينِه ورَغَدِه، والنِّعْمةُ -بكَسرِ النُّونِ- أعمُّ مِن هذا؛ لأنَّها بمعنى المِنَّةِ والعَطاءِ، فالنَّعْمةُ -بالفَتحِ- هي مِن جُملةِ النِّعْمةِ -بالكَسرِ-، وأصلُ (نعم): يدُلُّ على تَرَفُّهٍ وطِيبِ عَيشٍ وصلاحٍ.

أَنْكَالًا: أي: قُيودًا وأغلالًا، وأصلُ (نكل): يدُلُّ على مَنعٍ، وأصلُ ذلك النِّكْلُ: القيْدُ؛ لأنَّه يَنْكُلُ: أيْ: يمْنَعُ.

وَجَحِيمًا: أي: نارًا، والجُحْمةُ: شِدَّةُ تأجُّجِ النَّارِ، والجاحِمُ: المكانُ الشَّديدُ الحَرِّ، وبذلك سُمِّيت الجحيمُ، وأصْلُ (جحم): الحرارةُ وشِدَّتُها.

غُصَّةٍ: أي: لا يَسُوغُ في الحَلْقِ، والغُصَّةُ: ما يَغَصُّ به الإنسانُ، و(غصص): أصلٌ ليس فيه إلَّا الغَصَصُ بالطَّعامِ.

تَرْجُفُ: أي: تَتزَلْزَلُ وتَتحَرَّكُ وتَضْطَرِبُ بمَنْ عليها، والرَّجفةُ: حَرَكةُ الأرضِ، أو الزَّلزلةُ الشَّديدةُ، والرَّجْفُ: الاضْطِرابُ الشَّديدُ، وأصلُ (رجف): يدُلُّ على اضطرابٍ.

كَثِيبًا مَهِيلًا: أي: رَمْلًا سائِلًا مَنثورًا، والكَثيبُ: القِطعةُ العَظيمةُ مِنَ الرَّملِ، وسُمِّيَ الكثيبُ كَثيبًا؛ لأنَّ تُرابَه دُقاقٌ، كأنَّه مكثوبٌ مَنثورٌ بَعضُه على بَعضٍ لرَخاوتِه. والمهيلُ: السَّائلُ الذي قد سُيِّلَ، وهو اسمُ مفعولٍ مِن هالَ الشَّيءَ هَيلًا: إذا نَثَره وصبَّه، يُقالُ: تُرابٌ مَهيلٌ، أي: مَصْبوبٌ مُسيَّلٌ، ويُقالُ: أَهَلْتُ الرَّملَ: إذا حرَّكْتَ أسفَلَه حتَّى انهالَ مِن أعلاه، وأصلُ (كثب): يدُلُّ على تجمُّعٍ وعلى قُربٍ، وأصلُ (هيل): يدُلُّ على دَفْعِ شيءٍ.

تفسير الآيات:

وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10).

وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ.

أي: واصبِرْ –يا محمَّدُ– على ما يقولُه مُشرِكو قَومِك؛ مِن التَّكذيبِ أو الاستِهزاءِ بك.[14]

وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا.

أي: واهجُرْ –يا مُحَمَّدُ– قَومَك المُشرِكينَ في ذاتِ اللهِ هَجْرًا جميلًا لا عِتابَ معه ولا أذًى، وأعرِضْ عن الانتِقامِ منهم، فلا تُقابِلْهم بمِثلِ ما يقولونَ ويَفعَلونَ.

كما قال تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ [النساء: 63].

وقال سُبحانَه: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف: 199].

وقال اللهُ عزَّ وجَلَّ: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [النجم: 29].

---

(14) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٤٤) في الآية قولين: الأول: أن قوله تعالى: ﴿واصْبِرْ عَلَى ما يَقُولُونَ﴾ آية مُوادعة منسوخة بآية السيف، والمراد بالآية قريش.

الثاني: أن قوله: ﴿واهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ منسوخ، وأما الصبر على ما يقولون فقد يتوجّه أحيانًا ويبقى حكمه.

وعلق على هذا القول بقوله: «وفيما يتوجّه مِن الهجْر الجميل بين المسلمين، قال أبو الدرداء: إنّا لنَكشِر في وجوه قوم، وإنّ قلوبنا لتلعنهم».

ثم رجّح –مستندًا إلى السياق– القول الأول، فقال: «والقول الأول أظهر؛ لأنّ الآية إنما هي في كفار قريش وردّهم رسالته وإعلامهم بذلك، ولا يمكن أن يكون الحكم في هذه المعاني باقيًا».

النَّاسِخُ والمَنسوخُ:

هذه الآيةُ مُحكَمةٌ غَيرُ مَنسوخةٍ.[15]

وقيل: هي مَنسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ في سورةِ التَّوبةِ.[16]

---

(15) وممَّن ذهب إلى ذلك: الرازيُّ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (689/30).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن جرير)) (380/23)، ((المصفى بأكف أهل الرسوخ)) لابن الجوزي (ص: 58).

قال الرازي: (قال المفسِّرون: هذه الآيةُ إنَّما نزلتْ قبْلَ آيةِ القتالِ، ثمَّ نُسِخَت بالأمرِ بالقتالِ.

وقال آخَرونَ: بل ذلك هو الأخْذُ بإذنِ الله فيما يكونُ أدعى إلى القَبولِ، فلا يَرِدُ النَّسخُ في مِثْلِه، وهذا أصَحُّ).

((تفسير الرازي)) (689/30).

(16) وممَّن ذهب إلى ذلك: مقاتلُ بنُ سُليمانَ، وابنُ حزم، والواحديُّ، وابنُ عطية، وابنُ الفَرَس، ونسَبَ ابنُ الجوزيّ إلى الأكثَرِ أنَّها منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (476/4)، ((الناسخ والمنسوخ)) لابن حزم (ص: 62)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 1145)، ((تفسير ابن عطية)) (388/5)، ((أحكام القرآن)) لابن الفرس (601/3)، ((المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ)) لابن الجوزي (ص: 58).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: قَتادةُ، وابنُ جُرَيجٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (380/23)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (318/8).

ومِن أهلِ العلمِ مَن ذهب إلى أنَّ آيةَ السَّيفِ ناسخةٌ لجميعِ الآياتِ الَّتي فيها الصَّفحُ والكَفُّ عمَّن لم يقاتِلْ مِن المشركين، ومنهم مَن ذهب إلى أنَّها ليست ناسخةً، ولكنَّ الأحوالَ تختلِفُ؛ فإذا قوِيَ المسلمونَ وصارت لهم السُّلطةُ والقُوَّةُ والهَيبةُ استعمَلوا آيةَ السَّيفِ وما جاء في معناها وعمِلوا بها، وإذا ضَعُفَ المسلمونَ ولم يَقْوَوا على قتالِ الجميعِ فلا بأسَ أن يُقاتِلوا بحسَبِ قُدرتِهم، ويَكُفُّوا عمَّن كفَّ عنهم إذا لم يَستطيعوا ذلك، فيكونُ الأمرُ إلى وليِّ الأمرِ؛ إن شاء قاتَلَ، وإن شاء كفَّ، وإن شاء قاتَلَ قومًا دون قومٍ، على حسَبِ القوَّةِ والقدرةِ والمصلحةِ للمسلمينَ، لا على حسَبِ هواه وشَهوتِه، ولكنْ يَنظُرُ لحالِ المسلمينَ وقوَّتِهم.

قال ابن باز: (وهذا القولُ أظهَرُ وأبْيَنُ في الدَّليلِ؛ لأنَّ القاعدةَ الأصوليَّةَ أنَّه لا يُصارُ إلى النَّسخِ إلَّا عند تعذُّرِ الجمعِ بيْنَ الأدِلَّةِ، والجمعُ هنا غيرُ متعَذِّرٍ).

((مجموع فتاوى ابن باز)) (194/3).

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11).

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ.

أي: ودَعْني –يا مُحمَّدُ– والمكَذِّبينَ بالحقِّ ذوي الغِنى والثَّراءِ، وأهلَ التَّنعُّمِ والتَّرفُّهِ في الدُّنيا، فاترُكْ شَأنَ عُقوبتِهم إليَّ، ولا تهتَمَّ بتكذيبِهم، ولا تنشَغِلْ بالانتِقامِ منهم.

كما قال تعالى: فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا [مريم: 84].

وقال سُبحانَه وتعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ [الأحقاف: 35].

وقال عزَّ وجلَّ: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى [العلق: 6، 7].

وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا.

أي: وانتَظِرْ –يا مُحمَّدُ– وَقتًا قليلًا؛ ليأتيَ مِيعادُ عَذابِهم، وننتَصِرَ لك منهم؛ فلا تَستَعجِلْ عِقابَهم.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ [لقمان: 23، 24].

وقال الزَّرْكَشيُّ بعدَ أنْ بيَّنَ ضعفَ القولِ بأنَّ الآيَاتِ الآمِرةَ بالتَّخفيفِ منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ، وأنَّها ليست كذلك فـ: (كلُّ أمرٍ ورد يجبُ امتِثالُه في وقتٍ ما لعلَّةٍ توجِبُ ذلك الحُكمَ، ثمَّ يُنتقلُ بانتِقالِ تلك العلَّةِ إلى حُكمٍ آخَرَ، وليس بنَسخٍ، إنَّما النَّسخُ الإزالةُ حتَّى لا يجوزَ امتثالُه أبدًا).

((البرهان في علوم القرآن)) (42/2).

ويُنظر: ((الصارم المسلول)) لابن تيمية (ص: 221).

وقال سُبحانَه: فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ [القلم: 44، 45].

وقال تبارك وتعالى: فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا [الطارق: 17].

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12).

أي: إنَّ عِندَنا في الآخِرةِ للمُكَذِّبينَ بآياتِنا قُيودًا وأغلالًا ثقيلةً، ونارًا حاميةً شديدةَ الاتِّقادِ!

كما قال تعالى: وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ [إبراهيم: 49].

وقال سُبحانَه: وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا [سبأ: 33].

وقال عزَّ وجلَّ: إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ [غافر: 71، 72].

وقال الله تبارك وتعالى: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا [الإنسان: 4].

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13).

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ.

أي: وعِندَنا لهم طعامٌ غيرُ سائغٍ، يَعلَقُ في حَلْقِ آكِلِه، فلا يَنزِلُ عنه، ولا يَخرُجُ منه!

وَعَذَابًا أَلِيمًا.

أي: وعِندَنا لهم عَذابٌ مُؤلِمٌ مُوجِعٌ شَديدٌ.

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (14).

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ.

أي: ذلك واقِعٌ بهم يومَ تتزَلْزَلُ الأرضُ والجِبالُ وتَضطَرِبُ.

كما قال تعالى: وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ [الحاقة: 14، 15].

وقال سُبحانَه: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا [الفجر: 21].

وقال الله عزَّ وجلَّ: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا [الزلزلة: 1، 2].

وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا.

أي: وتصيرُ الجِبالُ رَمْلًا مجتَمِعًا مُنصَبًّا رِخْوًا مُتناثِرًا.

كما قال تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105 – 107].

وقال سُبحانَه: وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ [المرسلات: 10].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ [القارعة: 5].

سورةُ المُزَّمِّلِ

الآيات (15–19)

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (16) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (19)

غريب الكلمات:

وَبِيلًا: أي ثَقيلًا شَديدًا، وأصلُ (وبل): يدُلُّ على شِدَّةٍ في شَيءٍ.

الْوِلْدَانَ: أي: صِغارَ الأطفالِ، جمعُ وليدٍ، وهو الطِّفلُ الصَّغيرُ، والوَليدُ يُقالُ لِمَن قَرُبَ عهْدُه بالوِلادةِ وإن كان في الأصلِ يَصِحُّ لِمَن قَرُبَ عَهْدُه أو بَعُدَ، فإذا كبِرَ الوَلَدُ سقَط عنه هذا الاسمُ.

مُنْفَطِرٌ: الانفِطارُ: التَّصَدُّعُ والانشِقاقُ على غيرِ نِظامٍ، وأصلُ (فطر): يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وإبرازِه.

تفسير الآيات:

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15).

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ.

أي: إنَّا أرسَلْنا إليكم محمَّدًا - ﷺ - شاهِدًا على إيمانِ مَن استجابَ له منكم فاتَّبَعَه، وكُفْرِ مَن خالفه وعَصاه.

كما قال تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء: 41].

كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا.

أي: مِثْلَ ما أرسَلْنا إلى فِرعَونَ رَسولًا يَدْعوه إلى الحَقِّ، وهو موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (16).

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ.

أي: فعصى فِرعَونُ موسى عليه السَّلامُ، فلم يُؤمِنْ به وبما جاء به.

فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا.

أي: فأهلَكْنا فِرعَونَ وجُنْدَه إهلاكًا ثقيلًا غليظًا بإغراقِهم أجمَعينَ؛ فاحذَروا أن تَعصُوا رَسولَكم مُحمَّدًا، فيُهلِكَكم اللهُ كما أهلك فِرعَونَ وقومَه حينَ عَصَوا رَسولَهم.

كما قال تعالى: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف: 136].

وقال سُبحانه: فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ [الذاريات: 40].

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: 41، 42].

وقال تبارك وتعالى: فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآَخِرَةِ وَالْأُولَى [النازعات: 25].

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17).

أي: فكيف تَحصُلُ لكم الوِقايةُ والنَّجاةُ مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ الَّذي يَشيبُ فيه الوِلْدانُ مِن فَزَعِه وشِدَّةِ أهوالِه، إنْ بَقِيتُم على الكُفرِ فلم تُؤمِنوا وتَعمَلوا صالِحًا؟![17]

عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِي الله عنه، أنَّ النبيَّ – ﷺ – قال: ((يقولُ اللهُ تعالى: يا آدمُ، فيقول: لبَّيكَ وسَعْدَيك، والخيرُ في يدَيك، فيقولُ: أَخرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قال: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قال: مِن كلِّ ألفٍ

---

(17) ذكر ابنُ كثير (١٤/ ١٦٩) في معنى الآية قولين، فقال: «وقوله: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا﴾ يحتمل أن يكون ﴿يوما﴾ معمولًا لـ ﴿تتّقون﴾، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود: فكَيف تخافون أيها الناس يوما يَجعل الولدان شِيبًا إن كفرتم بالله ولم تُصدِّقوا به؟! ويحتمل أن يكون معمولًا لـ ﴿كفرتم﴾، فعلى الأول: كيف يحصل لكم أمانٌ من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟ وعلى الثاني: كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه؟ وكلاهما معنى حسن».

ثم رجّح الأول بقوله: «ولكن الأول أولى».

تِسعَمائةٍ وتسعةً وتسعينَ، فعنده يَشيبُ الصَّغيرُ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها،[18] وترى النَّاسَ سُكارَى وما هم بسُكارَى، ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ)).[19]

السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18).

السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ.

أي: السَّماءُ مُتشَقِّقةٌ يومَ القيامةِ؛ مِن شِدَّتِه وعِظَمِ أهوالِه.[20]

---

(18) قال ابنُ حجر: (وقد استُشكِلَ بأنَّ ذلك الوقتَ لا حملَ فيه ولا وضعَ ولا شيبَ، ومِن ثَمَّ قال بعضُ المفسرينَ: إنَّ ذلك قبلَ يومِ القيامةِ، لكنَّ الحديثَ يردُّ عليه، وأجاب الكرمانيُّ بأنَّ ذلك وقَع على سبيلِ التَّمثيلِ والتَّهويلِ، وسبَق إلى ذلك النووي، فقال: فيه وجهانِ للعلماءِ فذكرهما، وقال: التَّقديرُ أنَّ الحالَ يَنتهي إلى أنَّه لو كانَت النِّساءُ حينئذٍ حواملَ لوضَعتْ، كما تقولُ العربُ أصابَنا أمرٌ يشيبُ منه الوليدُ.

وأقولُ: يحتمِلُ أن يُحملَ على حقيقتِه؛ فإنَّ كلَّ أحدٍ يُبعَثُ على ما مات عليه، فتُبعَثُ الحامِلُ حامِلًا، والمرضِعُ مرضعةً، والطفلُ طِفلًا، فإذا وقَعت زلزلةُ السَّاعةِ، وقيل ذلك لآدمَ، ورأى النَّاسُ آدمَ، وسمِعوا ما قيل له؛ وقَع بهم مِن الوَجلِ ما يَسقُطُ معه الحملُ ويَشيبُ له الطِّفلُ، وتذهلُ به المرضعةُ...).

((فتح الباري)) لابن حجر (390/11).

ويُنظر: ((الكواكب الدراري)) للكرماني (10/14)، ((شرح النووي على مسلم)) (97/3).

(19) رواه البخاري (3348) واللفظ له، ومسلم (222).

(20) عن مجاهد بن جبر –من طريق ابن أبي نجيح– ﴿السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾، قال: مُثقلة بالله.

أخرجه ابن جرير ٢٣/ ٣٩٠ بلفظ: مثقلة به.

وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

علّق ابنُ عطية (٨/ ٤٤٦) على قول مجاهد، فقال: «وقال مجاهد: هو عائد على الله تعالى، وهذا نظير قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالغَمامِ﴾ [الفرقان: ٢٥] الذي هو ظلّ يأتي الله فيها.

والمعنى: يأتي أمره وقدرته، وكذلك هنا ﴿مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أي: بأمره وسلطانه».

وما قاله ابن عطية باطل، والحق إثبات صفة المجيء لله؟ على ما يليق بجلاله وكماله وعظمته، وهو إجماع السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

كما قال تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ [الانفطار: 1].

وقال سُبحانَه: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ [الانشقاق: 1].

كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا.

أي: ما وَعَد اللهُ به خَلْقَه مِن مَجيءِ القيامةِ أمرٌ واقِعٌ لا محالةَ؛ فاللهُ تعالى لا يُخلَفُ وَعْدُه.[21]

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29).

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ.

أي: إنَّ هذه تَذكِرةٌ يَتذَكَّرُ بها المتَّقونَ، وعِظةٌ وعِبرةٌ.

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا.

أي: فمَن شاء مِنَ النَّاسِ اتَّخذ إلى رَبِّه طَريقًا بالإيمانِ به وطاعتِه؛ لِيَظفَرَ برِضاه ورَحمتِه.

ينظر: الشريعة ٣/ ١١٤٧ - ١١٧٧، الإبانة الكبرى ٣/ ٩١ - ١٣١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٤٥١ - ٤٨٠.

(21) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٤٦) أنّ الضمير في قوله: ﴿وعده﴾ «ظاهر أنه لله تعالى».

ثم قال: «ويحتمل أن يكون لليوم؛ لأنه يُضاف إليه من حيث هو فيه».

سورةُ المُزَّمِّلِ

الآية (20)

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20)

غريب الكلمات:

وَطَائِفَةٌ: أي: جماعةٌ، والطَّائِفةُ: جماعةٌ مِن النَّاسِ؛ وتُطلَقُ على الواحدِ فما فوْقَه، وأصلُ (طوف): دَوَرانُ الشَّيءِ على الشَّيءِ، قيل: سُمِّيَت الجماعةُ بذلك؛ لِتَصرُّفِها في الإقبالِ والإدبارِ كأنَّها تَطوفُ.

يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ: أي: يَعلَمُ مَقاديرَهما على الحقيقةِ، أو: يَخلُقُهما مُقدَّرَينِ، ويَجعَلُهما على مَقاديرَ يَجريانِ عليها، وأصلُ (قدر): يدُلُّ على مَبْلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِه ونِهايَتِه.

لَنْ تُحْصُوهُ: أي: لن تُطيقوه؛ قيل: لن تُطيقوا قِيامَه، وقيل: لن تَقدِروا على تقديرِ الأوقاتِ، ولن تَستطيعوا ضبطَ السَّاعاتِ، وأصلُه هنا: العَدُّ والإطاقةُ.

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ: أي: يَسيرونَ في الأرضِ، ويُسافِرونَ للتِّجارةِ وغَيرِها، والضَّرْبُ في الأَرضِ: الذَّهابُ فيها، وضَربُها بالأرجُلِ.

وَأَقْرِضُوا: أي: تَصَدَّقوا وأنْفِقوا، والقَرْضُ: ما يُدفَعُ مِن المالِ بشَرْط ردِّ بَدَلِه، وأصلُ القَرْضِ: القَطْعُ؛ ومنه سُمِّيَ القَرْض؛ فكأنَّه شيءٌ قد قَطَعْتَه مِن مالِكَ.

تفسير الآية:

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20).

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ.

أي: إنَّ ربَّك –يا مُحمَّدُ– يعلَمُ أنَّك تُصَلِّي في اللَّيلِ تارةً أقلَّ مِن ثُلُثَيه، وتارةً تصَلِّي نِصْفَه، وتارةً أُخرى تصَلِّي ثُلُثَه، ويُصَلِّي ذلك المِقدارَ أيضًا جَماعةٌ مِن أصحابِك المؤمِنينَ.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ((أنَّ نَبيَّ اللهِ - ﷺ -كان يقومُ مِنَ اللَّيلِ حتَّى تتفطَّرَ[22] قَدَماه، فقالت عائِشةُ: لِمَ تصنعُ هذا يا رَسولَ اللهِ، وقد غفَر اللهُ لك ما تقَدَّمَ مِن ذَنْبِك وما تأخَّرَ؟! قال: أفلا أُحِبُّ أن أكونَ عَبدًا شَكُورًا؟!)).[23]

وعن زَيدِ بنِ خالِدٍ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَأَرْمُقَنَّ[24] صَلاةَ رَسولِ اللهِ - ﷺ - اللَّيلةَ، فصَلَّى ركعتينِ خفيفتَينِ، ثمَّ صلَّى ركعتينِ طويلتينِ طويلتينِ طويلتينِ، ثمَّ صلَّى ركعتينِ، وهما دونَ اللَّتَينِ قَبْلَهما، ثمَّ صلَّى ركعتينِ، وهما دونَ اللَّتينِ قَبْلَهما، ثمَّ صلَّى ركعتينِ، وهما دونَ اللَّتَينِ قَبْلَهما، ثمَّ صلَّى ركعتينِ، وهما دونَ اللَّتَينِ قَبْلَهما، ثمَّ أوتَرَ، فذلك ثلاثَ عَشْرَةَ رَكعةً)).[25]

وعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((صلَّيتُ مع النَّبيِّ - ﷺ - ذاتَ ليلةٍ، فافتَتَح البَقَرةَ، فقُلْتُ: يركَعُ عند المئةِ! ثمَّ مضَى، فقُلْتُ: يصَلِّي بها في رَكعةٍ! فمضَى، فقُلْتُ: يركَعُ بها! ثمَّ افتَتَح النِّساءَ فقَرَأَها، ثمَّ افتَتَح آلَ عِمرانَ فقَرَأها، يَقرأُ مُترَسِّلًا؛[26] إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سَبَّح، وإذا مَرَّ

---

(22) تتفطَّرَ: أي: تتشقَّق.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (347/7).
(23) رواه البخاري (4837) واللفظ له، ومسلم (2820).
(24) لأَرمُقنَّ: أي: لأنظُرَنَّ وأتأمَّلَنَّ وأحفَظَنَّ وأرقُبَنَّ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (906/3).
(25) رواه مسلم (765).
(26) مُترَسِّلًا: أي: مرتلًا بتبيينِ الحروفِ وأداءِ حقِّها، يُقالُ: ترسَّلَ الرجُلُ في كلامِه ومَشْيِه: إذا لم يَعجَلْ.
يُنظر: ((شرح السيوطي لسنن النسائي)) (219/3)، ((دليل الفالحين)) لابن علان (320/2).

بسؤالٍ سألَ، وإذا مرَّ بتعَوُّذٍ تعوَّذَ، ثمَّ ركَعَ، فجَعَل يقولُ: سُبحانَ رَبِّيَ العَظيمِ، فكان رُكوعُه نَحوًا مِن قِيامِه! ثمَّ قال: سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَه، ثمَّ قام طويلًا قريبًا مِمَّا ركَعَ! ثمَّ سَجَد، فقال: سُبحانَ رَبِّيَ الأعلى، فكان سجودُه قَريبًا مِن قيامِه)).[27]

وعن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((صلَّيْتُ مع رَسولِ اللهِ – ﷺ –، فأطال حتَّى همَمْتُ بأمرِ سَوْءٍ! قيل: وما همَمْتَ به؟ قال: همَمْتُ أن أجلِسَ وأدَعَه!)).[28]

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

في قَولِه تعالى: وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ قِراءتانِ:

1– قراءةُ: وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ أي: تقومُ نِصفَ اللَّيلِ وثُلُثَه.

2– قراءةُ: وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ عَطفًا على ثُلُثَيِ اللَّيلِ، والمعنى: تقومُ أقَلَّ مِن نِصفِه، وأقَلَّ مِن ثُلُثِه.

وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

أي: واللهُ وَحْدَه هو الَّذي يُقدِّرُ ساعاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ وأوقاتَهما، ويَعلَمُ مقاديرَهما.

---

(27) رواه مسلم (772).

(28) رواه البخاريُّ (1135)، ومسلمٌ (773) واللفظ له.

عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ.

أي: عَلِمَ اللهُ سُبحانَه –أيُّها المؤمِنونَ– أنَّكم لن تُطيقوا تقديرَ ما طُلِبَ منكم عِلمًا وعَمَلًا مِن غيرِ زيادةٍ ولا نَقصٍ، فذاك يَستدعي انتباهًا وعَناءً زائِدًا؛ فلذا تاب عليكم لعَجزِكم وضَعْفِكم، وخفَّف عنكم بالتَّرخيصِ في تركِ القيامِ المقَدَّرِ أوَّلَ السُّورةِ، ورَفَع عنكم التَّبِعةَ في ذلك، وأمَرَكم بفِعلِ ما تيسَّرَ لكم منه، سَواءٌ زاد على الوَقتِ المقدَّرِ أو نَقَصَ.

كما قال تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ [البقرة: 185].

وقال سُبحانَه: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ [النساء: 28].

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج: 78].

فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.

أي: فصَلُّوا –أيُّها المؤمنونَ– ما تيسَّرَ لكم مِنَ اللَّيلِ دونَ تحديدٍ.

عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى.

أي: عَلِمَ اللهُ –أيُّها المؤمِنونَ– أنَّه سيكونُ مِنكم مَرْضَى يَضعُفونَ عن الصَّلاةِ في اللَّيلِ.

وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.

أي: وعَلِمَ اللهُ أنَّه سيَكونُ مِنكم آخَرونَ يُسافِرونَ في الأرضِ؛ طَلَبًا للرِّزقِ، فيَضعُفونَ عن قيامِ اللَّيلِ.

وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

أي: وآخرونَ يُجاهِدونَ الكُفَّارَ؛ نُصْرةً لدِينِ اللهِ تعالى، وإعلاءً لكَلِمتِه، فيَشُقُّ عليهم قيامُ اللَّيلِ.

فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ.

أي: فصَلُّوا –بعدَ أن خفَّفَ اللهُ عليكم في قيامِ اللَّيلِ– ما تيسَّرَ لكم مِن صلاةِ اللَّيلِ.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.

أي: وحافِظُوا –أيُّها المسلِمونَ– على إقامةِ الصَّلَواتِ المفروضةِ، بأركانِها وشُروطِها وواجِباتِها، وأعْطُوا الزَّكاةَ الواجِبةَ عليكم في أموالِكم أهلَها المستَحِقِّينَ لها.[29]

وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا.

أي: وتَصَدَّقوا مِن طَيِّبِ أموالِكم بإخلاصٍ للهِ تعالى، ودونَ مَنٍّ ولا أذًى.

كما قال تعالى: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: 262].

وقال سُبحانَه: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً [البقرة: 245].

---

(29) قال ابنُ عطية (٨/ ٤٤٨): «والصلاة والزكاة هنا المفروضتان، ومَن قال: إنّ القيام بالليل غير واجب قال: معنى الآية: خُذوا من هذا الثِّقل بما تيسّر وحافِظوا على فرائضكم.
ومَن قال: إنّ شيئًا من القيام واجب قال: قرنه الله بالفرائض لأنه فرض».

وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا.

أي: وما تفعَلوه في الدُّنيا مِن أيِّ وَجهٍ مِن وُجوهِ الخَيرِ؛ لِنَفعِ أنفُسِكم في الآخِرةِ، فإنَّكم تجِدونَه يومَ القيامةِ محفوظًا لكم عِندَ اللهِ بأفضَلَ مِمَّا قدَّمْتُم، وأعظَمَ ثوابًا ممَّا عَمِلْتُم.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا [الكهف: 46].

وقال سُبحانَه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج: 77].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ – ﷺ –، فيما يَروي عن ربِّه عزَّ وجلَّ قال: ((إنَّ اللهَ كَتَب الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ، ثمَّ بيَّنَ ذلك، فمَنْ هَمَّ بحَسَنةٍ فلم يعمَلْها، كتَبَها اللهُ له عندَه حَسَنةً كامِلةً، فإنْ هو هَمَّ بها فعَمِلَها، كتَبَها اللهُ له عِندَه عَشْرَ حَسَناتٍ، إلى سَبْعِمئةِ ضِعْفٍ، إلى أضعافٍ كثيرةٍ)).[30]

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ.

أي: واسألوا اللهَ أن يمحُوَ عنكم ذُنوبَكم؛ عَيْنَها وآثارَها، فيتجاوَزَ عنها ويستُرَها.

قال تعالى: وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا [النساء: 106].

(30) رواه البخاري (6491) واللفظ له، ومسلم (131).

وعن أبي ذَرٍّ الغِفاريّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيّ – ﷺ – فيما روى عن اللهِ تبارك وتعالى أنَّه قال: ((يا عِبادي، إنَّكم تُخطِئُونَ باللَّيلِ والنَّهارِ، وأنا أغفِرُ الذُّنوبَ جميعًا؛ فاستغفِروني أغفِرْ لكم)).(31)

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: إنَّ اللهَ عَظيمُ المغفرةِ لذُنوبِ عِبادِه، بليغُ الرَّحمةِ بهم.

كما قال الله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا [النساء: 110].

وعن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ: ((قال اللهُ تبارك وتعالى: يا ابنَ آدمَ، إنَّك ما دعَوْتَني ورجَوْتَني غفَرْتُ لك على ما كان فيك ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، لو بلَغَت ذُنوبُك عَنانَ السَّماءِ، ثمَّ استغفَرْتَني، غفَرْتُ لك ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، إنَّك لو أتَيْتَني بقُرابِ الأرضِ خَطايا، ثمَّ لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا، لَأَتَيْتُك بقُرابِها مَغفِرةً)).(32)

---

(31) رواه مسلم (2577).

(32) أخرجه الترمذي (3540) واللفظ له، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (4305)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (231/2).

صحَّحه ابنُ القيِّم في ((أعلام الموقعين)) (204/1)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3540)، وقال ابن رجب في ((جامع العلوم والحكم)) (400/2): إسنادُه لا بأسَ به.

وحسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((رياض الصالحين)) (442).

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المُدَّثِّرِ

سورة المُدَّثِّر

سورةُ المُدَّثِّرِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسورةِ (المدَّثِّر).[33]

سورةُ المدَّثِّرِ مكيَّةٌ، ونقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفَسِّرينَ.[34]

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

الأمرُ بالنُّهوضِ بالدَّعوةِ ومُقَوِّماتِها.

---

(33) سُمِّيَت السورةُ بذلك؛ لافتتاحِها بلفظ (المدَّثِّر) في قَولِه تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ [المدثر: 1] ، وهو وصفٌ للنَّبيِّ – ﷺ –.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (488/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (291/29).

رجح ابنُ عطية (٨/ ٤٥١) –مستندًا إلى السنة– أن الآيات الأولى من سورة اقرأ هي أول القرآن نزولًا، فقال: «واختلف الناس في أول ما نزل من كتاب الله تعالى؛ فقال جابر بن عبد الله، وأبو سلمة، والنَّخَعي، ومجاهد هو: ﴿يا أيُّها المُدَّثِّر﴾ الآيات. وقال الزُّهريّ، والجمهور هو: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وهذا هو الأصح، وحديث صدر كتاب البخاري نص في ذلك».

(34) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (362/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (358/4)، ((تفسير القرطبي)) (59/19)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (134/3).

قال ابن عطية (٨/ ٤٥٠): «وهي مكّيّة بإجماع من أهل التأويل».

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- تكريمُ النَّبيِّ - ﷺ -، وأمْرُه بتبليغِ رسالةِ الله إلى النَّاسِ.

2- تسليةُ النَّبيِّ - ﷺ - عمَّا أصابه مِن أذًى، وتهديدُ أعدائِه بأشَدِّ ألوانِ العِقابِ.

3- بيانُ حُسنِ عاقبةِ المؤمِنينَ، وسوءِ عاقبةِ المكَذِّبينَ.

4- الرَّدُّ على الكافِرينَ بما يُبطِلُ دعاواهم.

سورةُ المُدَّثِّرِ

الآيات (1–10)

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)
وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ
(9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10)

غَريبُ الكَلِماتِ:

الْمُدَّثِّرُ: أي: المُشتَمِلُ بثيابِه إذا نام، يقالُ: تدَثَّرَ بالثَّوبِ: إذا اشتَمَل به داخِلًا فيه وتلَفَّف. والدِّثارُ: هو الثَّوبُ الَّذي يُستدفَأُ به مِن فوقِ الشِّعارِ الملاصِقِ للبَدَنِ، وأصلُ (دثر): يدُلُّ على تضاعُفِ شَيءٍ وتَناضُدُه بَعْضِه على بعضٍ.

وَالرُّجْزَ: أي: الأوثانَ والأصنامَ، والرِّجزُ: العَذابُ، وسُمِّيَتَ الأوثانُ رجزًا؛ لأنَّها تؤدِّي إلى العَذابِ، والرُّجزُ: اسمٌ للقبيحِ المستقذَر، والرُّجْزُ والرِّجْزُ لغتانِ، وقيل: الرُّجْزُ بالضَّمِّ: الصَّنَمُ، وبالكسرِ: النَّجاسَةُ، والمعصيةُ، والعذابُ.

وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ: أي: لا تُعْطِ عَطاءً لِتُعْطَى أكْثَرَ منه، مِن قَولِهم: مَنَّ: إذا أعطى. أو: لا تَمُنْ بعَمَلِك مُستَكثِرًا له؛ مِنَ المَنِّ: الَّذي هو تعديدُ النِّعمةِ وذِكْرُها. وأصلُ (منن): يدُلُّ على اصطناعِ خَيرٍ.

النَّاقُورِ: أي: الصُّورِ، وأصلُ (نقر): يدُلُّ على قَرعِ شَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1).

أي: يا أيُّها المتغطِّي بالثِّيابِ خوفًا وفزَعًا.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((جاوَرْتُ بِحِراءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيتُ جِواري، نَزَلْتُ فاستَبطَنْتُ بَطْنَ الوادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أمامي وخَلفي، وعنْ يَميني، وعنْ شِمالي، فلمْ أرَ أحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فنظَرْتُ فلمْ أرَ أحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فرَفَعْتُ رَأْسي، فإذا هو على العَرشِ في الهواءِ – يعني: جِبريلَ عليه السَّلامُ–، فأخَذَتْني رَجْفَةٌ شَديدةٌ! فأتَيتُ خَديجةَ، فَقُلتُ: دَثِّروني، فدَثَّروني، فصَبُّوا علَيَّ ماءً، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ [المدثر: 1 – 4]))[35].

---

(35) رواه البخاريُّ (4924)، ومسلمٌ (161) واللَّفظُ له.

قال القَسْطَلَّانيّ: (وليس في هذا الحديثِ أنَّ أوَّلَ ما نزل: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، وإنَّما استخرَجَ ذلك جابرٌ باجتهادِه وظنِّه فلا يُعارِضُ الحديثَ الصَّحيحَ الصَّريحَ...

أنَّه اقْرَأْ).

((إرشاد الساري)) (403/7).

قُمْ فَأَنْذِرْ (2).

أي: قُمْ فخَوِّفِ المُشركِينَ وحَذِّرْهم عَذابَ اللهِ إنْ لم يُوَحِّدوه.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3).

أي: وعَظِّمْ رَبَّك قَولًا –ومِن ذلك قولُ: اللهُ أكبرُ– واعتقادًا، ومِن ذلك: عِبادتُه وَحْدَه، وتنزيهُه عن النَّقائصِ، ووَصْفُه بصِفاتِ الكَمالِ، ودَعوةُ النَّاسِ إلى توحيدِه وتَعظيمِه.

كما قال تعالى: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا [الإسراء: 111].

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4).

أي: وطَهِّرْ ثِيابَك مِنَ النَّجاساتِ، وطَهِّرْ نَفْسَك مِن دَنَسِ الذُّنوبِ، وطَهِّرْ أعمالَك مِن الشِّرْكِ والمعاصي.[36]

---

(36) اختُلف في قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ على أقوال: الأول: لا تَلبس ثيابك على معصية، ولا على غَدْرة.

الثاني: لا تَلبس ثيابك من مَكسبٍ غير طيّب.

الثالث: أصلِح عملك.

الرابع: اغسلها بالماء، وطهّرها من النجاسة.

الخامس: حَسّن خُلقك.

السادس: طهّر قلبك ونيّتك.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٤٥٢) على القول الأول والثاني بقوله: «وهذا كلّه معنًى قريب بعضه من بعض».

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5).

أي: واترُكْ عِبادةَ الأوثانِ.

كما قال تعالى: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ [الحج: 30].

وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6).

أي: لا تُعْطِ شيئًا رجاءَ أن تُعطَى أكثرَ منه.(37)

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٤٠٩ – ٤١٠) –مستندًا إلى أنه الأظهر– القول الرابع، فقال: «وهذا القول الذي قاله ابن سيرين، وابن زيد في ذلك أظهر معانيه».

ثم قال معلقًا: «والذي قاله ابن عباس، وعكرمة، ومَن ذكرنا قوله عليه أكثر السلف من أنه عني به: جسمك فطَهِّر من الذّنوب. والله أعلم بمراده من ذلك».

ولم يذكر ابنُ تيمية (٦/ ٤٢٠ – ٤٢٢) غير القول الثالث والرابع، ورجّح أنّ الآية تعمّهما، فقال: «والأشبه –والله أعلم– أنّ الآية تعمُّ نوعي الطهارة، وتشمل هذا كلَّه، فيكون مأمورًا بتطهير الثياب المتضمّنة تطهير البدن والنفس مِن كلّ ما يُستقذر شرعًا مِن الأعيان والأخلاق والأعمال؛ لأنّ تطهيرها أن تُجعل طاهرة، ومتى اتصل بها وبصاحبها شيءٌ مِن النجاسة لم تكن مُطهّرة على الإطلاق؛ فإنها متى أُزيل عنها نَجسٌ دون نَجس لم تكن قد طَهرتْ حتى يزال عنها كلّ نَجس، بل كلّ ما أمر الله باجتنابه من الأرجاس وجَب التطهير منه، وهو داخل في عموم هذا الخطاب».

(37) اختُلف في قوله: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ على أقوال: الأول: ولا تُعطِ –يا محمد– عَطِيّة لِتُعطى أكثر منها.

الثاني: ولا تَمْنُن عملك على ربّك تَسْتَكْثِر.

الثالث: لا تَضْعُف أن تَسْتَكْثِر من الخير.

الرابع: لا تَمْنُن بالنبوة على الناس، تأخذ عليه منهم أجرًا.

ووجّه ابنُ عطية (٨/ ٤٥٣) القول الأول، فقال: «فكأنه من قولهم: مَنَّ إذا أعطى، وقال الضَّحّاك: وهذا خاصٌّ بالنبي – عليه السلام –، ومباح لأُمّته، لكن لا أجر لهم فيه.

قال مكي: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وما آتَيْتُمْ مِن رِبًا لِيَرْبُوا فِي أَمْوالِ النّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]».

وانتقده مستندًا للسياق، فقال: «وهذا معنًى أجنبي مِن معنى هذه السورة».

وعلّق على القول الثاني بقوله: «ففي هذا التأويل تحريض على الجد، وتخويف».

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7).

أي: واصبِرْ مِن أجْلِ رَبِّك وَحْدَه على ما تَلْقَى مِن أذًى ومَكروهٍ في سبيلِ دَعوةِ الخَلْقِ إلى اللهِ تعالى، وتبليغِ رِسالتِه، واصبِرْ على غيرِ ذلك مِن أقدارِ الله المؤلِمةِ، وعلى طاعةِ الله وعن معصيتِه.(38)

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8).

أي: فإذا نُفِخَ في الصُّورِ يومَ القيامةِ لِبَعثِ النَّاسِ أحياءً مِن قُبورِهم للحِسابِ والجَزاءِ.

كما قال تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا [الكهف: 99].

وقال سُبحانَه: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا [النبأ: 18].

فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9).

وعلّق على القول الثالث، فقال: «وقال مجاهد: معناه: ولا تَضْعُف تَسْتَكْثِر ما حمّلناك من أعباء الرسالة وتَسْتَكْثِر من الخير.
فهذه من قولهم: حبل منين، أي: ضعيف».
وقد رجح ابنُ جرير (٢٣/ ٤١٧) –مستندًا إلى السياق، والقراءات– القول الثاني، فقال: «وإنما قلتُ ذلك أولى بالصواب؛ لأن ذلك في سياق آيات تَقدّم فيهنّ أمْر الله نبيّه – ﷺ – بالجد في الدعاء إليه، والصبر على ما يَلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك أشبه منها بأن تكون من غيرها.
وذكر عن عبد الله بن مسعود أنّ ذلك في قراءته: (ولا تَمْنُنْ أن تَسْتَكْثِر)».
(38) قال ابنُ جرير (٢٣/ ٤١٧): «وقوله: ﴿ولربك فاصبر﴾ يقول –تعالى ذِكْره–: ولربك فاصبر على ما لَقِيتَ فيه من المكروه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل على اختلاف فيه بين أهل التأويل».
ثم ذكر قول مجاهد، وابن زيد، وإبراهيم النَّخعي.

أي: فذلك يومٌ صَعْبٌ شديدٌ، بالِغُ العُسْرِ، عظيمُ الأهوالِ.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((يَجمَعُ اللهُ النَّاسَ الأوَّلِينَ والآخِرينَ في صعيدٍ واحدٍ، يُسمِعُهم الدَّاعي، ويَنفُذُهم البَصَرُ، وتَدْنو الشَّمسُ، فيَبلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطيقونَ، ولا يَحتَمِلونَ)).[39]

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10).

أي: وهو يومٌ شديدٌ على الكافِرينَ باللهِ ورُسُلِه، غَيرُ سَهلٍ ولا هَيِّنٍ عليهم.

كما قال تعالى: خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [القمر: 7، 8].

---

(39) رواه البخاري (4712) واللَّفظُ له، ومسلم (194).

سورةُ المُدَّثِّرِ

الآيات (11–30)

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ
لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا
(17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21)
ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
(28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)

غَريبُ الكَلِماتِ:

مَمْدُودًا: أي: كثيرًا مَبْسوطًا، وأصلُ (مدد): يدُلُّ على جَرِّ شيءٍ في طولٍ، واتِّصالِ شَيءٍ بشَيءٍ في اسْتِطالةٍ.

شُهُودًا: أي: حُضورًا، لا يَغيبونَ عنه، وأصلُ (شهد): يدُلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعلامٍ.

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا: أي: بَسَطْتُ له في العيشِ بَسْطًا، يُقالُ: مَهَّدْتُ لك كذا: هيَّأْتُه وسوَّيْتُه، وأصلُ (مهد): يدُلُّ على تَوْطِئَةٍ وتَسْهيلٍ للشَّيءِ.

سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا: أي: سأُحَمِّلُه مَشَقَّةً شديدةً مِنَ العَذابِ، والإرهاقُ: أن يُحمَلَ الإنسانُ على الشَّيءِ لا يُطيقُه، يُقالُ: فلانٌ رَهِقَه الأمرُ يرهَقُه: إذا حَلَّ به بقَهرٍ ومَشَقَّةٍ لا قُدرةَ له على دَفْعِه، والصَّعودُ: العَقَبةُ الشَّاقَّةُ، مِن قَولِهم: عَقَبةٌ صَعودٌ وكَؤُودٌ، أي: شاقَّةُ المَصعَدِ، وأصلُ (رهق): يدُلُّ على غِشْيانِ الشَّيءِ الشَّيءَ، وأصلُ (صعد): يدُلُّ على ارتفاعٍ ومَشقَّةٍ.

فَقُتِلَ: أي: لُعِنَ وأُهلِكَ، وأصلُ (قتل): يدُلُّ على إذلالٍ وإماتةٍ.

عَبَسَ وَبَسَرَ: أي: قَطَّبَ وَجْهَه، وقَبَضَ ما بيْنَ عينَيه، واسوَدَّ وَجْهُه، ونَظَر بكراهيةٍ شَديدةٍ كالمُهْتَمِّ المتفكِّرِ في شَيءٍ، والعُبُوسُ: تَقطُّبُ الوَجهِ عندَ كراهيةِ أمرٍ، وأصلُ (عبس): يدُلُّ عَلَى تَكَرُّهٍ، والبُسُورُ: أشَدُّ العُبوسِ، وهو هَيئةٌ في الوَجهِ تدُلُّ على تحَزُّنٍ في القَلبِ، يُقالُ: وَجهٌ باسِرٌ: إذا تَغيَّرَ.

يُؤْثَرُ: أي: يأثُرُه عن غيرِه، ويَرويه عنه، وأصلُه مِن قولِهم: أَثَرْتُ الحديثَ أثرًا، إذا حدَّثْتَ به عن قومٍ في آثارِهم، أي: بعدَ ما ماتوا. ثمَّ صار بمعنَى الرِّوايةِ عمَّن كان، والإخبارِ، وأصلُ (أثر) هنا: ذِكْرُ الشَّيءِ.

سَأُصْلِيهِ: أي: سَأُورِدُه، وأُدخِلُه، يُقالُ: صَلِيَ النَّارَ وصَلِيَ بها صُلِيًّا، وصِلِيًّا، وصلًى: دخَلها وقاسَى حَرَّها وشِدَّتَها، وأصلُ الصَّلَى: الإيقادُ بالنَّارِ.

سَقَرَ: أي: جهنَّمَ، وهي عَلَمٌ مُشتَقٌّ مِنَ السَّقْرِ: وهو التِهابُ النَّارِ، وأصلُ (سقر): يدُلُّ على إحراقٍ.

لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ: أي: مُغَيِّرةٌ للبَشَراتِ، مُحرِقةٌ للجُلودِ مُسَوِّدةٌ لها، و«البَشَرُ» جَمعُ بَشَرةٍ، تقولُ العَرَبُ: لاحتِ النَّارُ الشَّيءَ: إذا أحرَقَتْه وسوَّدَتْه. وقيل: لِلْبَشَرِ أي: للنَّاسِ. وقيل: لَوَّاحَةٌ بِناءُ مُبالغةٍ مِن: لاحَ يَلُوحُ: إذا ظَهَرَ، والمعنى أنَّها تَظهَرُ للنَّاسِ حتَّى يَرَوها عِيانًا؛ لِعظَمِها وهَولِها.

تَفسيرُ الآياتِ:

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11).

أي: دَعْني -يا محمَّدُ- وهذا الكافِرَ الَّذي خلَقْتُه مُنفَرِدًا دونَ مالٍ أو وَلَدٍ، وكِلْ أمْرَه إلَيَّ!

وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12).

أي: وجعَلْتُ له مالًا واسِعًا كثيرًا يَزدادُ ويَنمو فلا يَنقَطِعُ عنه خَيرُه.(40)

وَبَنِينَ شُهُودًا (13).

أي: وجعَلْتُ له أبناءً حاضِرينَ معه، لا يَغيبونَ عنه ولا يُفارِقونَه، فهو يَستأنِسُ بهم ويَفتَخِرُ، ويَستعينُ بهم على قَضاءِ حوائِجِه.

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14).

أي: وبَسَطْتُ له في العَيشِ بَسْطًا، فأقام ببَلدتِه مُطْمَئِنًّا مُتَرَفِّهًا، له الرِّياسةُ والتَّقَدُّمُ، والجاهُ العَريضُ، فلا يَعْسُرُ عليه أمرٌ، ولا يَستعْصي عليه شأنٌ!

---

(40) رجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٤٢٤) العموم، وأنّ المال الممدود هو الكثير، الممدود عدده أو مســـاحته، دون تعيين لحدّه أو مقداره، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال كما قال الله: ﴿وجعلت له مالا ممدودًا﴾، وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته».

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15).

أي: ثمَّ يَرْجو مِن شِدَّةِ حِرْصِه وطَمَعِه أن أَزيدَه مِنَ المالِ والوَلَدِ مع كُفرانِه للنِّعَمِ، وإشراكِه باللهِ تعالى!

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16).

أي: لن أَزيدَ هذا الكافِرَ كما يأمُلُ؛ فلا يكونُ له ما يَطمَعُ فيه مِن زيادةِ النِّعَمِ، مع مُعانَدتِه البالِغةِ لآياتِ اللهِ تعالى الَّذي أنعَمَ عليه بما أنعَمَ، ثمَّ لا ينقادُ للحَقِّ ويَتَّبِعُه مع عِلْمِه به.(41)

سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17).

أي: سأُكَلِّفُ هذا الكافِرَ في جَهنَّمَ عذابًا شاقًّا لا راحةَ له منه.

كما قال تعالى: وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا [الجن: 17].

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18).

أي: إنَّ هذا الكافِرَ قد أعمَلَ فِكْرَه، وأدارَ رأيَه في شأنِ القُرآنِ، وأوقَعَ في نَفْسِه تقديرًا للصِّفاتِ الباطِلةِ الَّتي يَطعَنُ بها في القُرآنِ؛ لِيَعلَمَ أيُّها أقرَبُ إلى قَبولِ النَّاسِ له.

---

(41) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٥٥ – ٤٥٦) أنّ قوله: ﴿لآياتنا﴾ هي العِبر، ثم ذكر القول بأنها آيات القرآن، كما في قول مقاتل، ورجّحه مستندًا إلى السياق، فقال: «ويحتمل أن يريد بالآيات: آيات القرآن، وهو الأصح في التأويل؛ بسبب كلام الوليد في القرآن بأنه سحرٌ».

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19).

أي: فهَلَك ولُعِنَ هذا الكافِرُ! وعَجَبًا له؛ إذ كيفَ أوقَعَ هذا التَّقديرَ في نَفْسِه لإلصاقِ الأوصافِ الباطِلةِ بالقُرآنِ؟![42]

ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20).

أي: ثمَّ هَلَك ولُعِنَ مرَّةً أُخرى! وعَجَبًا له ثانيةً؛ إذ كَيفَ قدَّرَ في نَفْسِه ذلك؟!

ثُمَّ نَظَرَ (21).

أي: ثمَّ نَظَرَ هذا الكافِرُ في أمرِ القُرآنِ بحثًا عن وَصْفٍ باطلٍ يَطعَنُ به فيه؛ لِيَصُدَّ النَّاسَ عنه!

---

(42) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٥٧ – ٤٥٨) في قوله: ﴿فقتل كيف قدر﴾ احتمالين: الأول: «أن يكون دعاء عليه على معنى تقبيح حاله».

ثم وجّه معنى قوله: ﴿ثم نظر﴾ على هذا الاحتمال، فقال: «وعلى التأويل الأول أنّ الدعاء عليه دعاء على مُستقبح فعله يجيء قوله: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ معنىً معادًا بعينه؛ لأن ﴿فَكَّرَ وقَدَّرَ﴾ يقتضيه، لكنه إخبار بترديده النظر في الأمر، وقد رُوي أنّ النبي – ﷺ – دعا الوليد فقال له: «أنظُرْ وأُفَكِّرُ».

فلمّا فكّر قال ما تقدم».

الثاني: «يحتمل أن يكون دعاء مقتضاه استحسان منزعه الأول في مدحه القرآن، وفي نفيه الشعر والكهانة والجنون عنه، فيجري هذا مجرى قول النبي – ﷺ – لأبي جَندل بن سهيل: «ويل أمه، مسْعَر حرب».

ومجرى قول عبد الملك بن مروان: قاتل الله كُثَيِّرًا، كأنه رآنا حين قال كذا.

وهذا معنًى مشهور في كلام العرب».

ثم وجّه معنى قوله: ﴿ثم نظر﴾ على هذا الاحتمال، فقال: «وإذا قلنا إنّ ذلك دعاء على مستحسن فعله فيجيء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ فيما احتج به للقرآن، فرأى ما فيه من علوّ مرتبة محمد – عليه السلام –، فـ ﴿عَبَسَ﴾ لذلك، ﴿وبَسَرَ﴾ أي: قطب، وقبض ما بين عينيه، واربدّ وجهه حسدًا له».

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22).

أي: ثمَّ قطَّب وجْهَه، وقبَض ما بيْنَ عينَيْه، وتغيَّر لَونُه حينَ لم يَجِدْ وَصْفًا صَحيحًا يَطعَنُ به في القُرآنِ.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23).

أي: ثمَّ تولَّى وتكبَّرَ عن قَبولِ الحَقِّ مع تبيُّنِه كمالَ القُرآنِ في ألفاظِه ومَعانيه، وخُلُوِّه مِن أيِّ باطِلٍ!

فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24).

أي: فقال: ما هذا القرآنُ إلَّا سِحرٌ يَرْويه محمَّدٌ عن غَيرِه مِن السَّحَرةِ!

إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25).

أي: قال: ما هذا القُرآنُ إلَّا حَديثٌ بَشَريٌّ، وليس بكلامِ للهِ تعالى، فلا ينبغي لأحدٍ أن يَغتَرَّ به أو يُعوِّلَ عليه!

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26).

أي: قال اللهُ تعالى: سأُدخِلُه النَّارَ وأغْمُرُه فيها، فتُحيطُ به مِن جميعِ جوانِبِه، لِيُقاسيَ شدَّتَها وحرَّها.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27).

أي: وما أعلَمَك –يا محمَّدُ– أيُّ شَيءٍ سَقَرُ؟!

لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28).

أي: لا تُبقِي مَن دَخل فيها حَيًّا، ولا تَتْرُكه مَيِّتًا؛ فيَستريحَ مِن عَذابِها، بل تُبدَّلُ أجسادُ أهلِها كلَّما احترَقَت، فيَستَمِرُّ عَذابُها!

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ [النساء: 56].

لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29).

أي: تلك النَّارُ مُحْرِقةٌ لبَشَرةِ أهْلِها، فتُحَوِّلُ لَونَ جُلودِهم إلى السَّوادِ!

كما قال تعالى: كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [يونس: 27].

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30).

أي: على تلك النَّارِ تِسعةَ عَشَرَ مَلَكًا.

كما قال تعالى: عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم: 6].

سورةُ المُدَّثِّرِ

الآية (31)

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

فِتْنَةً: أي: اختِبارًا، وابتِلاءً، وامتِحانًا، وأصلُ (فتن): يدُلُّ على اختِبارٍ وابتِلاءٍ.

يَرْتَابَ: أي: يشُكَّ، والرَّيبُ مصدرُ: رابَني الشَّيءُ: إذا حصَل فيه الرِّيبةُ، وهي قلَقُ النَّفْسِ واضطرابُها، وسُمِّيَ به الشَّكُّ؛ لأنَّه يُقلِقُ النَّفْسَ ويُزيلُ الطُّمأنينةَ، وأصلُ (ريب): يدُلُّ على شَكٍّ.

تَفسيرُ الآيةِ:

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31).

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً.

أي: وما جعَلْنا خَزَنةَ النَّارِ التِّسعةَ عَشَرَ إلَّا ملائِكةً.

وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا.

أي: وما جعَلْنا ذِكْرَ عَدَدِهم إلَّا فِتنةً للكُفَّارِ، ومِحنةً لهم.

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ.

أي: ذكَرْنا ذلك العَدَدَ؛ لِيَستيقِنَ الَّذين أُوتوا التَّوراةَ والإنجيلَ بأنَّ القُرآنَ حَقٌّ، وأنَّ محمَّدًا رَسولُ اللهِ؛ لِمُوافَقةِ كُتُبِهم للقُرآنِ بأنَّ عدَدَهم تِسْعةَ عَشَرَ.

وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا.

أي: وذكَرْنا ذلك العَدَدَ؛ لِيَزدادَ المؤمِنونَ إيمانًا بتَصديقِهم بهذا الخَبَرِ.

وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ.

أي: ولا يَشُكَّ أهلُ التَّوراةِ والإنجيلِ والمؤمنونَ باللهِ ورَسولِه محمَّدٍ – ﷺ – بما أخبَرَ اللهُ به مِن عَدَدِ خَزَنةِ النَّارِ.

وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا.

أي: ولِيَقولَ الَّذين في قُلوبِهم مَرَضُ الشَّكِّ والنِّفاقِ، والكافِرونَ باللهِ ورَسولِه: ما الحِكمةُ مِن وراءِ هذا العَدَدِ؟

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.

أي: كما أضَلَّ اللهُ تعالى الكفَّارَ بهذا العَدَدِ، وهَدى المؤمِنينَ لقَبولِه، يُضِلُّ بما يُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ أيضًا مَن يَشاءُ، فيَخذُلُه عن اتِّباعِ الحَقِّ، ويَهْدي مَن يَشاءُ، فيُوَفِّقُه لاتِّباعِ الحَقِّ، ولله الحِكمةُ البالِغةُ.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ [البقرة: 26].

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ.

أي: وما يَعلَمُ عَدَدَ جُنودِ رَبِّك وكَثْرَتَهم مِن الملائِكةِ أو غيرِهم إلَّا اللهُ وَحْدَه.

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ.

أي: وما هي إلَّا تَذكِرةٌ عظيمةٌ للنَّاسِ؛ لِيَتَّعِظوا بها ويَنزَجِروا عن مُخالَفةِ الحقِّ.

كما قال تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ [الزمر: 16].

وقال سُبحانَه: إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ [المدثر: 35، 36].

سورةُ المُدَّثِّرِ

الآيات (32-37)

كَلَّا وَالْقَمَرِ (32) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (34) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ
(35) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (36) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

أَسْفَرَ: أي: أضاء وانتَشَر ضَوؤُه، وأصلُ (سفر): يدُلُّ على انكِشافٍ وجَلاءٍ.

الْكُبَرِ: أي: العَظائِمِ، وهي جمعُ «الكُبْرى»، وأصلُ (كبر): يدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

كَلَّا وَالْقَمَرِ (32).

كَلَّا.

أي: ليس الأمرُ كما يظُنُّ المُشرِكونَ في شأنِ عِدَّةِ خَزَنةِ النَّارِ.

وَالْقَمَرِ.

أي: وأُقسِم بالقَمَرِ.

وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33).

أي: وأُقسِمُ باللَّيلِ وَقتَ ذَهابِه وانصِرافِه.

وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (34).

أي: وأُقسِمُ بالصُّبحِ إذا ابتدَأَ ظُهورُ ضَوئِه عندَ الفَجرِ.

إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (35).

أي: إنَّ النَّارَ لَإِحْدى الأُمورِ الكُبْرى الَّتي لا نَظيرَ لها.

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (36).

أي: مُنْذِرةً للنَّاسِ، فتُخَوِّفُهم وتحَذِّرُهم تحذيرًا بالِغًا.(43)

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37).

أي: لِمَن شاء أن يَقبَلَ النِّذارةَ، ويَهتَدِيَ للحَقِّ، فيتقَدَّمَ إلى الإيمانِ والخَيرِ، ولِمَن شاء أنْ يتأخَّرَ عن الإيمانِ والخيرِ، فلا يَرْعويَ بنِذارتِها.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ [الكهف: 29].

---

(43) اختُلف في معنى قوله: ﴿نذيرا للبشر﴾ على أقوال: الأول: أي: النار.

الثاني: أنّ ذلك من صفة الله تعالى، وهو خبر من الله عن نفسه، أنه نذير لخَلْقه.

الثالث: ذلك من صفة رسول الله – ﷺ –.

وعلّق ابنُ جرير (٢٣/ ٤٤٥) على القول الأول، فقال: «فعلى قول هؤلاء: النَّذير نُصب على القطع مِن إحْدى الكُبَرَ؛ لأن إحْدى الكُبَرَ مَعْرِفة، وقوله: ﴿نذيرا﴾ نكرة، والكلام قد يحسن الوقوف عليه دونه».

وعلّق عليه ابنُ عطية (٨/ ٤٦٣)، فقال: «وهذا القول يقتضي أنّ ﴿نذيرا﴾ حال من الضمير في ﴿إنَّها﴾، أو من قوله: ﴿لَإِحْدى﴾، وكذلك أيضًا على الاحتمال في أن تكون ﴿إنَّها﴾ يُراد بها: قصة الآخرة وحال المعاد».

وعلّق ابنُ جرير على القول الثاني، فقال: «وعلى هذا القول يجب أن يكون نصب قوله: ﴿نذيرًا﴾ على الخروج مِن جملة الكلام المتقدم، فيكون معنى الكلام: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيرًا للبشر، يعني: إنذارًا لهم؛ فيكون قوله: ﴿نذيرًا﴾ بمعنى: إنذارًا لهم؛ كما قال: ﴿كيف نذير﴾ [الملك: ١٧]، بمعنى: إنذاري، ويكون أيضًا بمعنى: إنها إحْدى الكُبَرَ صَيّرنا ذلك كذلك نذيرًا، فيكون قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ مُؤدّيًا عن معنى صيّرنا ذلك كذلك، وهذا المعنى قصد مَن قال ذلك إن شاء الله».

وعلّق عليه ابنُ عطية (٥/ ٣٩٨)، فقال: «فهذا القول يَقتضي أنّ ﴿نذيرًا﴾ معمول لفعل تقديره: اعبدوا نذيرًا للبشر، أو ادعوا نذيرًا للبشر».

وعلّق على القول الثالث، فقال: «فهذا القول يَقتضي أنّ ﴿نذيرًا﴾ معمول لفعل تقديره: نادِ نذيرًا، أو: بلغ نذيرًا، ونحو هذا».

سورةُ المُدَّثِّرِ

الآيات (38–48)

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

رَهِينَةٌ: أي: محبوسةٌ بكَسْبِها، مأخوذةٌ بعمَلِها، ومُرتَهَنةٌ به غيرُ مفكوكةٍ، وكلُّ ما احتُبِس به شيءٌ فرهينُه ومُرْتَهَنُه، والرَّهينةُ اسمٌ بمعنى الرَّهنِ، كالشَّتيمةِ بمعنى الشَّتمِ، وأصلُ (رهن): يدُلُّ على ثباتِ شيءٍ يُمْسَكُ بحقٍّ أو غيرِه.

سَلَكَكُمْ: أي: أدخلَكم، والسُّلوكُ: النَّفاذُ في الطَّريقِ، يُقالُ: سَلَكْتُ الطَّريقَ أسْلُكُه، وسَلَكْتُ الشَّيءَ في الشَّيءِ: أنْفَذْتُه، وأصلُ (سلك): يدُلُّ على نُفوذِ شيءٍ في شيءٍ.

الْخَائِضِينَ: أي: الغاوِينَ الكاذِبينَ أهلِ الباطِلِ، والخَوضُ: الشُّروعُ في الماءِ والمرورُ فيه، ويُستعمَلُ في الدُّخولِ في الأمرِ بالقَولِ، وأكثَرُ ما ورَدَ في القُرآنِ فيما يُذَمُّ الشُّروعُ فيه، وأصلُ (خوض): يدُلُّ على توسُّطِ شَيءٍ ودُخولٍ.

بِيَوْمِ الدِّينِ: أي: يومِ الجزاءِ والحسابِ، وهو يومُ القيامةِ، يُقالُ: دِنْتُه بما صَنَع، أي: جازيتُه، وأصلُ (دين): جِنسٌ مِن الانْقِيادِ، والذُّلِّ.

الْيَقِينُ: أي: الموتُ المُوقَنُ به؛ فإنَّه أمرٌ متيقَّنٌ لا شكَّ فى إتيانِه، واليَقينُ: اسمُ مصدَرِ يَقِنَ -كفَرِحَ-، إذا عَلِم عِلْمًا لا شَكَّ معه ولا تَرَدُّدَ، وأصلُ اليقينِ: زوالُ الشَّكِّ.

شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ: الشَّفاعةُ: الانضِمامُ إلى آخَرَ؛ نُصرةً له، وسؤالًا عنه، يُقالُ: شفَع لفُلانٍ إذا جاء مُلتَمِسًا مَطلَبَه، ومُعينًا له، وأصْلُ الشَّفْعِ: ضمُّ الشَّيءِ إلى مِثلِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38).

أي: كلُّ نَفْسٍ بما عَمِلَت في الدُّنيا مِن سَيِّئاتٍ وذُنوبٍ: مَحبوسةٌ بها في النَّار.

كما قال تعالى: كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ [الطور: 21].

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39).

أي: إلَّا المؤمِنينَ الَّذين يُعطَونَ كُتُبَ أعمالِهم بأيْمانِهم؛ فإنَّهم لا يُحبَسُونَ في النَّارِ بذُنوبِهم؛ لأنَّ اللهَ يَغفِرُها لهم.(44)

كما قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ [الحاقة: 19 – 22].

---

(44) اختُلف فيمن عنى الله بقوله: ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ على أقوال: الأول: أنهم المسلمون الصالحون.

الثاني: أنهم أطفال المسلمين.

الثالث: أنهم الملائكة.

ولم يذكر ابنُ جرير (٢٣/ ٤٥٠) غير القول الثاني والثالث، ثم قال معلقًا عليهما: «وإنما قال مَن قال: أصحاب اليمين في هذا الموضع: هم الولدان وأطفال المسلمين، ومَن قال: هم الملائكة؛ لأنّ هؤلاء لم يكن لهم ذنوب، وقالوا: لم يكونوا ليسألوا المجرمين: ﴿ما سلككم في سقر﴾؟ إلا أنهم لم يقترفوا في الدنيا مآثم، ولو كانوا اقترفوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم في سَقر؛ لأن كلّ مَن دَخل من بني آدم ممن بلغ التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي، قد عَلم أنّ أحدًا لا يُعاقب إلا على المعصية».

وزاد ابنُ عطية (٨/ ٤٦٤) في الآية قولًا آخر، حكاه عن الضَّحّاك، أنه قال: «هم الذين سَبَقتْ لهم من الله الحُسنى».

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((إنَّ اللهَ يُدْني المؤمِنَ، فيَضَعُ عليه كَنَفَه ويَستُرُه، فيقولُ: أتعرِفُ ذَنْبَ كذا؟ أتعرِفُ ذنْبَ كذا؟ فيقولُ: نَعَمْ، أيْ رَبِّ! حتَّى إذا قَرَّره بذُنوبِه، ورأى في نَفْسِه أنَّه هلَك، قال: ستَرْتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفِرُها لك اليومَ، فيُعطَى كِتابَ حَسَناتِه)).[45]

فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41).

أي: إنَّ أصحابَ اليَمينِ في جَنَّاتِ النَّعيمِ يَسألونَ عن أصحابِ النَّارِ المُجرِمينَ.

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42).

أي: يَقولونَ لهم: ما الَّذي أوجَبَ دُخولَكم النَّارَ؟

قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43).

أي: قال المجرِمونَ لهم: الَّذي أدخَلَنا النَّارَ هو أنَّنا لم نكُنْ في الدُّنيا مِنَ المصَلِّينَ للهِ وَحْدَه.

وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44).

أي: ولم نكُنْ نُطعِمُ المِسكينَ؛ بُخلًا بما أعطانا اللهُ، ومَنْعًا لِما أوجَبَ علينا مِن الزَّكَواتِ والصَّدَقاتِ.

---

(45) رواه البخاريُّ (2441) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2768).

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45).

أي: وكنَّا في الدُّنيا نَخوضُ في الباطِلِ مع مَن يَخوضونَ فيه، فنُخالِطُهم في باطِلِهم.

كما قال الله تبارك وتعالى: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ [الزخرف: 83].

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46).

أي: وكُنَّا في الدُّنيا نُكذِّبُ بيومِ الحِسابِ والجَزاءِ، فلا نُصدِّقُ بالقيامةِ ولا بالجنَّةِ والنَّارِ.

حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47).

أي: فاستَمرَرْنا على كُفْرِنا وضَلالِنا حتَّى أتانا الموتُ.[46]

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48).

أي: فما تَنفَعُ الكافِرينَ شَفاعةُ الشَّافِعينَ؛ مِنَ الملائكةِ والأنبياءِ، والشُّهَداءِ والصَّالِحينَ، حينَ يَقبَلُ اللهُ شفاعتَهم في المُذنِبينَ الموَحِّدينَ.

---

(46) رجّح ابنُ عطية (٨/ ٤٦٥) أنّ اليقين معناه: «صحة ما كانوا يُكذِّبون به مِن الرجوع إلى الله تعالى والدار الآخرة».
ثم انتقد –مستندًا إلى الدلالة العقلية– القول بأنه الموت، فقال: «وقال المفسرون: اليَقِين: الموت.
وذلك عندي هنا مُتعقّب؛ لأن نفس الموت يقين عند الكافر وهو حي، فإنما اليَقِين الذي عَنوا في هذه الآية فهو الشـــيء الذي كانوا يُكذِّبون به وهم أحياء في الدنيا، فتيَقّنوه بعد الموت، وإنما يُفَسَّر اليقين بالموت في قوله تعالى: ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]».

كما قال تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى [الأنبياء: 28].

وقال سُبحانَه: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر: 18].

سورةُ المُدَّثِّرِ

الآيات (49-56)

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ
(51) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (52) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ (53) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

مُسْتَنْفِرَةٌ: أي: نافِرةٌ هارِبةٌ، وأصلُ (نفر): يدُلُّ على تَباعُدٍ.

قَسْوَرَةٍ: أي: رُمَاةٍ، أو أَسَدٍ؛ مِنَ «القَسْرِ» وهو: القَهْرُ، وسُمِّيَ الأسدُ بذلك؛ لأنَّه يَقهَرُ السِّباعَ، وأصلُ (قسر): يدُلُّ على الغَلَبةِ والقَهْرِ.

مُنَشَّرَةً: أي: مَنشورةً مفتوحةً غيرَ مَطويَّةٍ، تُنشَرُ وتُقرأُ، وأصلُ (نشر): يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وتَشَعُّبِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49).

أي: فما لِهؤلاء المُشركِينَ عن القُرآنِ الَّذي يُذكَّرون به مُعرِضينَ، فلا يُؤمِنونَ به ولا يتَّبِعونَه؟!

كما قال الله تبارك وتعالى: وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ [الشعراء: 5].

وقال سُبحانَه: قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ [ص: 67، 68].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ [الأحقاف: 3].

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50).

أي: كأنَّ المُشرِكينَ في إعراضِهم عن القُرآنِ ونُفورِهم مِن الحَقِّ: حَميرُ وَحْشٍ هارِبةٌ.

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51).

أي: هرَبَت أشدَّ الهرَبِ ممَّن يُريدُ صَيْدَها مِن أَسَدٍ أو رُماةٍ.

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (52).

أي: لا يَكْتَفون بتلك التَّذكِرةِ ولا يَرضَونَ بها، بل يُريدُ كُلُّ واحدٍ مِنَ المُشرِكينَ أن يُنزِلَ اللهُ عليه كِتابًا مِن السَّماءِ مَفتوحًا غيرَ مَطْوِيٍّ!

كما قال تعالى: وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ [الأنعام: 124].

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (53).

أي: لن نُعطِيَ كُلَّ واحدٍ منهم كتابًا خاصًّا، وليس الأمرُ كما زَعَموا أنَّهم سيُؤمِنونَ لو أتَتْهم صُحُفٌ مُنَشَّرةٌ، وإنَّما هم قومٌ لا يَخافونَ عذابَ اللهِ في الآخِرةِ؛ لأنَّهم لا يؤمِنونَ بالبَعثِ والجنَّةِ والنَّارِ، فأعرَضوا بسَبَبِ ذلك عن القُرآنِ، وامتَنَعوا عن اتِّباعِ الحَقِّ، واغتَرُّوا بالدُّنيا حتَّى هَلَكوا.

كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54).

أي: ليس الأمرُ كما يَزعُمُ هؤلاء المُشرِكونَ في القُرآنِ مِن أنَّه سِحرٌ يُؤْثَرُ، وأنَّه قَولُ البَشَرِ، وإنَّما هو تَذكِرةٌ بليغةٌ مِنَ اللهِ تعالى لخَلْقِه، يُذَكِّرُهم به.

كما قال تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [ص: 29].

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (55).

أي: فمَن شاء مِن العِبادِ تذكَّرَ بهذا القُرآنِ واتَّعظَ، وعَمِلَ بما فيه مِن أوامِرَ ونَواهٍ.

كما قال الله تعالى: إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا [المزمل: 19].

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56).

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

أي: وما يَذكُرونَ بهذا القُرآنِ ويتَّعِظونَ به ويَعمَلونَ، إلَّا أن يَشاءَ اللهُ لهم ذلك.

كما قال تعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [التكوير: 27 – 29].

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

أي: اللهُ وَحْدَه هو الحقيقُ بأن يَخافَه عِبادُه، ويَحذَروا سَخَطَه وعِقابَه؛ بفِعلِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهيه، وهو وَحْدَه الحقيقُ بأن يَغفِرَ ذُنوبَ عِبادِه، ويَرحَمَهم.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ القيامة

سُورةُ القيامةِ

سورةُ القيامةِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسورةِ (القيامةِ).[47]

سورةُ القيامةِ مَكِّيَّةٌ، ونقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفَسِّرينَ.[48]

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

وصْفُ يومِ القِيامةِ، والحديثُ عن أهوالِه، وعن أحوالِ النَّاسِ فيه.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- التَّذكيرُ بيومِ القيامةِ وما يكونُ فيه.

2- بيانُ إمكانيَّةِ البَعثِ، وحَتميَّةِ وُقوعِه والجزاءِ فيه على الأعمالِ.

---

(47) سُمِّيَت هذه السُّورةُ بذلك؛ لافتِتاحِها بالقَسَمِ بيومِ القيامةِ، ولم يُقسَمْ به فيما نَزَل قَبْلَها مِن السُّوَرِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (490/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (336/29).

(48) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّة، وابن الجوزي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (372/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4368)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (138/3).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٦٩) أنّ هذه السورة مكّيّة بإجماع من أهل التأويل.

3- ذِكرُ آدابِ سَماعِ الوَحيِ.

4- ذِكرُ اختلافِ أحوالِ أهلِ السَّعادةِ وأهلِ الشَّقاءِ، وتكريمِ أهلِ السَّعادةِ ووَعْدِهم برؤيةِ اللهِ تعالى.

5- التَّذكيرُ بالموتِ، وأنَّه أوَّلُ مَراحِلِ الآخِرةِ.

سورةُ القيامةِ

الآيات (1–6)

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ
عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5)
يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6)

غريب الكلمات:

نُسَوِّيَ: أي: نُتقِنَها سَويَّةً، والتَّسوِيةُ: تَقويمُ الشَّيءِ، وإتقانُ الخَلْقِ، وقيل: نجعَلَها شيئًا واحدًا، مُستويةً كخُفِّ البعيرِ ونحوِه، وأصْلُ (سوي): يدُلُّ على استِقامةٍ واعتِدالٍ بيْنَ شيئَيْنِ.

بَنَانَهُ: البَنانُ: الأصابعُ أو أطرافُها، وهو جَمعُ «بَنَانةٍ»، قيل: سُمِّيَت بَنانًا مِن قولِهم: أَبَنَّ بالمكانِ: إذا أقامَ؛ فالبَنانُ به يُعتمَلُ كلُّ ما يكونُ للإقامةِ والحياةِ.

لِيَفْجُرَ: أي: يَعْصيَ ويُخالِفَ، والفُجُورُ: الانبِعاثُ في المعاصي، وأصلُ (فجر): يدُلُّ على تفَتُّحٍ في شَيءٍ.

تفسير الآيات:

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1).

أي: أُقسِمُ بيومِ القيامةِ الَّذي يقومُ النَّاسُ فيه للحِسابِ والجَزاءِ.(49)

---

(49) اختُلف في ﴿لا﴾ المُبتدأ بها في قوله تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنها صلة، ومعنى الكلام: أُقسِم بيوم القيامة.

الثاني: أنها دخلت توكيدًا للكلام.

الثالث: أنها ردٌّ لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث، ثم ابتدأ القَسم فقال: أُقسِم بيوم القيامة.

ونسبه ابنُ جرير (٢٣/ ٤٦٨) لبعض نحاة الكوفة.

وذكر أنّ مَن قال بالقول الثالث كان يقول: كلّ يمين قبلها ردّ لكلام، فلابد من تقديم «لا» قبلها؛ ليُفرَّق بذلك بين اليمين التي تكون جحدًا، واليمين التي تستأنف، ويقول: ألا ترى أنك تقول مُبتدئًا: واللهِ، إنّ الرسول لحقّ.

وإذا قلتَ: لا، واللهِ إنّ الرسول لحقّ.

فكأنك أكذبتَ قومًا أنكروه.

ورجَّحه مستندًا إلى اللغة، فقال: «لأنّ المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم: لا واللهِ، لا فعلتُ كذا، أنه يقصد بـ» لا «ردّ الكلام، وبقوله: واللهِ، ابتداء يمين، وكذلك قولهم: لا أُقسِم بالله لا فعلتُ كذا.

فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريًا مجراه، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له».

اختُلف هل قوله: ﴿ولا أقسم بالنفس باللوامة﴾ قَسَم أم لا؟ على قولين: الأول: أنه تعالى أقسَم بالنفس اللوامة كما أقسَم بيوم القيامة؛ فيكونان قسمين.

الثاني: أنه أقسَم بيوم القيامة ولم يُقسِم بالنفس اللوامة، ويكون تقدير الكلام: أُقسِم بيوم القيامة، ولا أُقسِم بالنفس اللوامة.

ورجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٤٦٨) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول الذي قاله ابن عباس، وقتادة، وذلك أنّ «الجميع من الحُجّة مُجمِعون على أنّ قوله: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ قَسَم، فكذلك قوله: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ إلا أن تأتي حُجّة تدل على أنّ أحدهما قَسَم والآخر خبر.

وقد دللنا على أنّ قراءة مَن قرأ الحرف الأول» لأقسم «بوصل اللام بـ» أقسم «قراءة غير جائزة بخلافها ما عليه الحُجّة مُجمِعة».

ورجَّحه ابنُ كثير (١٤/ ١٩٢)، فقال: «والصحيح أنه أقسَم بهما جميعًا».

ولم يذكر مستندًا.

كما قال تعالى: أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [المطففين: 4 – 6].

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2).

أي: وأُقسِمُ بالنَّفْسِ الَّتي تَلُومُ صاحِبَها.(50)

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3).

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧١) أنّ الجمهور على هذا القول.

وذكر ابنُ كثير أنّ قراءة الوصل «لأقسم» توجّه القول الثاني الذي قاله الحسن؛ لأنه أثبتَ القَسَم بيوم القيامة، ونفى القَسَم بالنفس اللوامة.

وانتقد ابنُ عطية القول الثاني، فقال: «وذلك قلق، وهو في القراءة الثانية أمكن» أي: قراءة: «لأقسم» بالوصل.

(50) في وصف النفس باللوامة قولان: الأول: أنها صفة مدح، وهو قول مَن جعلها قَسمًا.

الثاني: أنها صفة ذم، وهو قول مَن نفى أن يكون قَسمًا.

ومَن جعلها مدحًا له في تفسيرها قولان: الأول: أنها التي تلوم على الخير والشر.

الثاني: أنها تلوم على ما فاتَ وتَندم.

ومَن جعلها صفة ذم له في تفسيرها قولان: الأول: أنها الفاجرة.

الثاني: المذمومة.

ورأى ابنُ جرير (٢٣/ ٤٧٠) تقارب هذه الأقوال، فقال: «وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه، وإن اختلفتْ بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني».

ثم رجّح (٢٣/ ٤٧٠ – ٤٧١) القول بأنها صفة مدح، وهو القول الذي قاله ابن عباس، وسعيد بن جُبَير، وعكرمة، ومجاهد- مستندًا إلى إجماع القُراء على قراءة الفصل التي تفيد القسم-، فقال: «وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتَندم على ما فاتَ، والقُراء كلّهم مُجمِعون على قراءة هذه بفصل ﴿لا﴾ من ﴿أقسم﴾».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧١) قولًا بأنّ المراد: نفس آدم؛ لأنها لم تزل اللائمة له على فِعْله الذي أخرجه من الجنة.

ثم قال: «وكلّ نفس متوسطة ليستْ بالمطمئنة ولا بالأمارة بالسوء فإنها لوامة في الطرفين؛ مرة تلوم على ترْك الطاعة، ومرة تلوم على فَوْت ما تشتهي، فإذا اطمأنتْ خلصتْ وصَفَتْ».

أي: أيَظُنُّ الإنسانُ أنَّنا لن نَجمَعَ عِظامَه الباليَةَ، فتَعودَ كما كانت بعدَ تمزُّقِها وتفتُّتِها وتفرُّقِها؛ لإحيائِه وبَعْثِه مِن قَبْرِه؟!

كما قال الله تبارك وتعالى: وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا [الإسراء: 49].

وقال سُبحانَه: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس: 78، 79].

وقال عزَّ وجلَّ: وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ [الواقعة: 47، 48].

بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4).

أي: نحن نَقدِرُ على جَمعِ عِظامِه، ونَقدِرُ على ما هو أعظَمُ، وذلك بتسويةِ أصابِعِه مع أنَّ عِظامَها أكثَرُ العِظامِ تفَرُّقًا، وأصغرُها وأدَقُّها أجزاءً، فنَرُدُّها ونُؤَلِّفُ بيْنَها كما كانت في حياةِ صاحِبِها، بعد ما تفَرَّقَت وتفتَّتَت في التُّرابِ، فمَن قَدَر على جمعِ صِغارِ العِظامِ، كان على جَمعِ كِبارِها أقدَرَ![51]

(51) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٢) أنّ المعنى: أنّ الكفار لمّا استبعدوا جمْع العظام بعد الفناء والإرمام، قيل لهم: إنما تُجمع ويُسوّى أكثرها تفرقًا وأدقّها أجزاء، وهي عظام الأنامل ومفاصلها، وهذا كلّه عند البعث.

وبنحوه قال ابنُ القيم (٣/ ٢٢٦).

ثم ساق ابنُ عطية هذا القول بأنّ المراد: جعل بَنان الإنسان في هذه الحياة بُضعة أو عظمًا واحدًا كخُفّ البعير لا تفاريق فيه.

وعلّق عليه بقوله: «فكأن المعنى: قادرين الآن في الدنيا على أن نجعلها دون تفرّق، فتقِلّ منفعته بيده، فكأن التقدير: بلى نحن أهلٌ أن نجمعها، قادرين الآن على إزالة منفعته بيده، ففي هذا توعّد ما».

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5).

أي: بل يريدُ الإنسانُ أنْ يَعصيَ اللهَ في مُستقبَلِ أيَّامِه وطوالَ عُمُرِه، دونَ أن يَتوبَ.[52]

وعلَّق ابنُ القيم (٣/ ٢٢٦) على هذا القول بقوله: «والمعنى على هذا القول: إنّا في الدنيا قادرون على أن نَجعل عظام بَنانه مجموعة دون تفرّق، فكيف لا نقدر على جَمْعها بعد تفريقها، فهذا وجه من الاستدلال غير الأول، وهو الاستدلال بقدرته سبحانه على جَمْع العظام بعد تفريقها».

ورجح ابنُ عطية -مستندًا إلى السياق- أنّ المراد بالجمع في الآخرة، فقال: «والقول الأول أجرى مع رصف الكلام».

ثم قال: «ولكن على هذا القول الآخر [أي: تسوية البنان في الدنيا] جمهور العلماء».

وعلَّق ابنُ القيم (٣/ ٢٢٧) على القولين بقوله: «وهما وجهان حسنان، وكلّ منهما له ترجيح من وجه؛ فيرجّح الأول أنه هو المقصود، وهو الذي أنكره الكفار، وهو إجراء على نسق الكلام واطراده، ولأنّ الكلام لم يُسَق لجمْع العظام وتفريقها في الدنيا، وإنما سيق لجمْعها في الآخرة بعد تفرّقها بالموت.

ويرجّح القول الثاني -ولعله قول جمهور المفسرين-، حتى إنّ فيهم من لم يذكر غيره، وأنه استدلال بآية ظاهرة مشهورة، وهي تفريق البنان مع انتظامها في كفّ واحد وارتباط بعضها ببعض فهي متفرّقة في عضو واحد، يَقبض منها واحدة ويَبسط أخرى ويُحرّك واحدة والأخرى ساكنة، ويَعمل بواحدة والأخرى مُعطّلة، وكلّها في كفّ واحد، قد جمَعها ساعد واحد، فلو شاء سبحانه لسوّاها فجعلها صفة واحدة كباطن الكفّ، ففاتَه هذه المنافع والمصالح التي حَصلتْ بتفريقها، ففي هذا أعظم الأدلة على قدرته سبحانه على جَمْع عظامه بعد الموت».

(52) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٢) أنّ الضمير في قوله: ﴿أمامه﴾ عائد على الإنسان على هذا القول الذي قاله ابن عباس من طريق أبي الخير، وابن جُبَير، والعَوفيّ، وقاله مجاهد، والحسن، وعكرمة، وابن جُبَير، والضَّحّاك، والسُّدِّيّ.

اختُلف في المراد بقوله: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ على أقوال: الأول: معناه: أن يُعجِّل الذَّنب، ويُسوّف التوبة.

الثاني: بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله، ولا يذكر الموت.

الثالث: بل يريد الإنسان ليَكفر بالحقّ الذي بين يدي القيامة.

الرابع: بل يريد الإنسان الكافر أن يُكذّب بالقيامة.

ورجَّح ابنُ القيم (٣/ ٢٢٧ - ٢٢٨) -مستندًا إلى السياق، واللغة- القول الأخير الذي قاله ابن عباس من طريق علي، وقاله ابن زيد، فقال: «ويُرجّح هذا القول لفظة ﴿بلى﴾؛ فإنها تُعطي أنّ الإنسان لم يؤمن بيوم القيامة، مع هذا البيان والحُجّة، بل هو مريد للتكذيب به، ويُرجّحه أيضًا أنّ السياق كلّه في ذم المُكذّب بيوم القيامة، لا في ذم العاصي والفاجر، وأيضًا فإنّ ما قبل الآية وما بعدها يدل على المراد.

يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6).

أي: يَسألُ هذا الإنسانُ: متى يومُ القيامةِ؟

كما قال تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [يونس: 48].

وقال سُبحانَه: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا [النازعات: 42 – 44].

سورةُ القيامةِ

فإنه قال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ فأنكر –سبحانه– عليه حِسْبانه أنّ الله لا يَجمع عظامه، ثم قَرّر قدرته على ذلك، ثم أنكر عليه إرادة التكذيب بيوم القيامة.

فالأول حِسبانٌ منه أن لا يُحييه بعد موته.

والثاني: تكذيب منه بيوم البعث، وأنه يريد أن يُكذّب بما وضح وبان دليل وقوعه وثبوته؛ فهو مريد للتكذيب به.

ثم أخبر عن تصريحه بالتكذيب، فقال: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾، فالأول إرادة التكذيب، والثاني نطق بالتكذيب وتكلم به».

وبنحوه ابنُ كثير (١٤/ ١٩٤)، فقال: «وهذا هو الأظهر من المراد؛ ولهذا قال بعده: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أي: يقول متى يكون يوم القيامة؟! وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ [سبأ: ٢٩ – ٣٠]».

وذكر ابنُ جرير (٢٣/ ٤٧٧) أنّ الضمير في قوله: ﴿أمامه﴾ على القول الثالث الذي قاله ابن عباس عائد على «يوم القيامة».

وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٤٧٢)، ثم بيّن أنّ المعنى –على هذا القول–: «أنّ الإنسان هو في زمان وجوده أمام يوم القيامة وبين يديه، ويوم القيامة خلفه، فهو يريد شهواته ليَفْجُر في تكذيبه بالبعْث، وغير ذلك بين يدي يوم القيامة، وهو لا يعرف قدر الضرر الذي هو فيه».

الآيات (7–15)

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا
قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)

غريب الكلمات:

بَرِقَ: أي: شَخَصَ فلا يَطرِفُ، وفَزِعَ وتحَيَّرَ؛ وبَرَقَ وبرِقَ: يُقالُ في العَينِ إذا اضطَرَبَتْ وجالتْ مِن خوفٍ، والإنسانُ إذا بَقِيَ كالمُتَحَيِّرِ قيل: بَرِقَ بَصَرُه بَرَقًا، وأصلُ (برق) هنا: يدُلُّ على لَمعانٍ في شَيءٍ.

وَخَسَفَ الْقَمَرُ: أي: ذهَب ضَوؤُه، وقيل: غاب القَمَرُ وذهب، قيل: خسَف وكسَف واحدٌ، وقيل: إذا ذَهَب بعضُه فهو الكُسوفُ، وإذا ذَهَب كلُّه فهو الخُسوفُ، وقيل: الخُسوفُ للقَمَرِ، والكُسوفُ للشَّمسِ، وأصل (خسف): يدُلُّ على غُموضٍ وغُؤورٍ.

وَزَرَ: أي: مَلْجَأَ، والوَزَرُ: الملجأُ الَّذي يُلتجَأُ إليه مِن الجَبَلِ ونحوِه، وأصلُ (وزر) هنا: يدُلُّ على مَلجَأٍ.

بَصِيرَةٌ: أي: شاهدٌ، وأصلُ (بصر) هنا: العِلمُ بالشَّيءِ.

مَعَاذِيرَهُ: أي: ما اعتَذر به، أو اعتذارَه، جمعُ مَعْذرةٍ، والعُذْرُ هو رَوْمُ الإنسانِ إصْلاحَ ما أُنْكِر عليه بكَلامٍ، أو: تحرِّيه ما يمحو به ذُنوبَه.

تفسير الآيات:

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7).

أي: فإذا لَمَع بَصَرُ الإنسانِ وشَخَص مَبهوتًا متحَيِّرًا فلم يَطرِفْ!

وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8).

أي: وإذا ذَهَب ضَوءُ القَمَرِ!

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9).

أي: وإذا جُمِع بيْنَ الشَّمسِ والقَمَرِ!

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((الشَّمْسُ والقَمَرُ مُكَوَّرانِ[53] يومَ القِيامةِ)).[54]

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10).

أي: إذا بَرِقَ البَصَرُ وخَسَف القَمَرُ وجُمِع الشَّمسُ والقَمَرُ، يقولُ الإنسانُ: أين المَهرَبُ والخَلاصُ؟!

---

(53) مُكَوَّرانِ: أي: مطويَّانِ ذاهِبا الضَّوءِ، وقيل: يُلَفَّانِ ويُجْمَعانِ، ويُلْقَيانِ في النار.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (208/4)، ((عمدة القاري)) للعيني (120/15).

قال القَسْطَلَّانيّ: (لأنَّهما عُبِدا مِن دونِ الله، وليسَ المرادُ مِن تكويرِهما فيها تعذيبَهما بذلك، لكنَّه زيادةُ تبكيتٍ لِمَن كان يعبدُهما في الدُّنيا؛ ليَعْلَموا أنَّ عبادتَهم لهما كانتْ باطِلةً).

((إرشاد الساري)) (259/5).

(54) أخرجه البخاري (3200).

كَلَّا لَا وَزَرَ (11).

أي: ليس ثَمَّةَ مكانٌ يومَئذٍ تَلجَؤون إليه، وتَعتَصِمونَ به.[55]

كما قال تعالى: وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [العنكبوت: 22].

وقال سُبحانَه: اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ [الشورى: 47].

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12).

أي: إلى ربِّك في ذلك الوَقتِ المرجعُ والاستقرارُ: إمَّا في الجنَّةِ، وإمَّا في النَّارِ.

يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13).

أي: يُخبَرُ الإنسانُ يومَئذٍ بجَميعِ عَمَلِه الَّذي قدَّمَه أو أخَّرَه؛ مِن خيرٍ أو شَرٍّ.[56]

---

(55) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٤) أنّ المفسرين عبّروا عن الوَزَر بالجبل، ونقل عن مُطَرِّف بن الشِّخّير وغيره أنهم قالوا: «كان وزَر فِرار العرب في بلادهم، فلذلك استُعمل».
ثم رجَّح أنه المَلْجأ أيًّا كان، فقال: «والحقيقة أنه المَلْجأ؛ جبلًا كان أو حِصنًا أو سلاحًا أو رجلًا أو غيره».
ولم يذكر مستندًا.

(56) اختُلف في المراد بقوله: ﴿بما قدم وأخر﴾ على أقوال: الأول: ما قَدّم قبل موته، وما سَنّ فعُمِل به بعد موته.
الثاني: ما قَدّم من معصية، وأَخَّر من طاعة.
الثالث: بأول عَمَله، وآخره.

كما قال تعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: 49].

وقال سُبحانَه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ [الانفطار: 5].

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14).

أي: إنَّ الإنسانَ شاهِدٌ على نَفْسِه فيما عَمِلَ، فلا تخفى عليه أعمالُه الَّتي استحَقَّ عليها العِقاب.

كما قال تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء: 13، 14].

الرابع: بما قدّم من الطاعة، وأخّر من حقوق الله التي ضيّعها.

الخامس: ما قدّم من خير أو شرّ مما عَمِله، وما أخّر مما ترك عَمَله من طاعة الله – عز وجل –.

ورجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٤٩١) العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنّ ذلك خبر من الله أنّ الإنسان يُنبّأ بكل ما قدّم أمامه مما عَمِل من خير أو شرّ في حياته، وأخّر بعده من سُنّة حسنة أو سيئة مما قدّم وأخّر، كذلك ما قدّم من عَملٍ عَمِله من خير أو شرّ، وأخّر بعده من عَملٍ كان عليه فضيّعه، فلم يعمله مما قدّم وأخّر، ولم يخصص الله من ذلك بعضًا دون بعض، فكلّ ذلك مما يُنبّأ به الإنسان يوم القيامة».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٤ – ٤٧٥) أنّ قوله تعالى: ﴿بما قدم وأخر﴾ قِسمة تستوفي كلّ عمل، أي: يُعلم بكل ما فعل ويجده مُحصلًا، ثم ساق الأقوال.

وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15).

أي: ولو اعتَذَر أو جادَلَ بالباطِلِ عن كُفْرِه أو مَعاصيه، فهو يَعلَمُ أنْ لا عُذرَ له![57]

---

(57) اختُلف في المراد بقوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ على أقوال: الأول: لو اعتذر يومئذ لم يُقبل منه.

الثاني: لو تَجرّد من ثيابه.

الثالث: لو أظهر حُجّته.

قاله السُّدِّيّ.

الرابع: لو أرخى السُّتور وأغلق الأبواب.

الخامس: بل للإنسان على نفسه شهود من نفسه، ولو اعتذر بالقول مما قد أتى من المآثم، وركب من المعاصي، وجادل بالباطل.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٤٩٦) -مستندًا إلى السياق- أنّ أولى الأقوال بالصواب قول مَن قال: ولو اعتذر.

فقال: «لأنّ ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل؛ وذلك أنّ الله -جلّ ثناؤه- أخبَرَ عن الإنسان أنّ عليه شاهدًا من نفسه بقوله: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ فكان الذي هو أولى أن يَتبع ذلك، ولو جادل عنها بالباطل، واعتذر بغير الحق، فشهادة نفسه عليه به أحقّ وأولى من اعتذاره بالباطل».

ورجَّح ابنُ كثير (١٤/ ١٩٤) -مستندًا إلى النظائر- القول الأخير الذي قاله مجاهد، وعطاء، فقال: «والصحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣]، وكقوله: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [المجادلة: ١٨]».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٥) أنّ الحسن قال: المعنى: بل الإنسان على نفسه بَليّة ومِحنة، ووجّهه بقوله: «كأنه ذهب إلى البصيرة التي هي طريقة الدّم، وداعية طلب الثأر».

وانتقده بقوله: «وفي هذا نظر».

سورةُ القيامةِ

الآيات (16–19)

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
(18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)

تفسير الآيات:

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16).

سببُ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما، قال: ((كان رَسولُ اللهِ – ﷺ – يُعالِجُ مِن التَّنزيلِ شِدَّةً، وكان مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيه، فأنزل اللهُ تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ قال: جَمْعَه لك في صَدْرِك وتَقرَأه، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ [القيامة: 18] قال: فاستَمِعْ له وأنصِتْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [القيامة: 19]: ثمَّ إنَّ علينا أن تقرَأه، فكان رَسولُ اللهِ – ﷺ – بَعْدَ ذلك إذا أتاه جِبريلُ استمَعَ، فإذا انطَلَق جِبريلُ قَرَأه النَّبيُّ – ﷺ –كما قَرَأه)).(58)

(58) رواه البخاري (5) واللفظ له، ومسلم (448).

اختُلف في السبب الذي من أجله قيل للنبي – ﷺ –: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ على قولين: الأول: أنّ النبي – ﷺ – كان يُكثر تلاوة القرآن مَخافة نسيانه، فقيل له: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ إنّ علينا أن نَجمعه لك، ونُقرئكه فلا تنسى.

الثاني: أنه كان يُعجّل بذكره إذا نزَل عليه مِن حُبّه له وحلاوته في لسانه، فقيل له: لا تَعجل به، فإنه سَنحفظه عليك.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٥٠٠) –مستندًا إلى الدلالة العقلية– القول الثاني الذي قاله ابن عباس من طريق ابن جُبَير، وقاله سعيد بن جُبَير، والشعبي، وابن زيد، والضَّحّاك، وانتقد الأول، فقال: «وذلك أنّ قوله: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ يُنبئ أنه إنما نُهي عن تحريك اللسان به مُتعجلًا فيه قبل جمْعه؛ ومعلوم أنّ دراسته للتذكُّر إنما كانت تكون من النبي – ﷺ – مِن بعد جمْع الله له ما يدرس من ذلك».

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16).

أي: لا تُحرِّكْ بالقُرآنِ لِسانَك -يا محمَّدُ- مُتعَجِّلًا بحَمْلِه وأخْذِه قبْلَ أن يَفرُغَ جِبريلُ مِن قراءتِه عليك.

كما قال الله تعالى: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ [طه: 114].

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17).

أي: إنَّ علينا -يا محمَّدُ- أن نجْمَعَ هذا القُرآنَ في صَدْرِك، فنُثْبِتَه فيه، وأن تَقرَأَه بعْدَ ذلك؛ فلَسْتَ بحاجةٍ إلى تحريكِ شَفَتَيك عندَ نُزولِه.[59]

كما قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر: 9].

وقال سُبحانَه: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى [الأعلى: 6].

---

(59) اختُلف في المراد بقوله: ﴿وقرآنه﴾ على قولين: الأول: قراءته.
الثاني: تأليفه.
وذكر ابنُ جرير (٢٣/ ٥٠٢) أنه على القول الأول الذي قاله ابن عباس، والضَّحّاك فقد وجّه قوله تعالى: ﴿وقرآنه﴾ إلى أنه مصدر من قول القائل: قرأت أقرأ قرآنًا وقراءة.
ووجَّه (٢٣/ ٥٠١ – ٥٠٢) القول الثاني الذي قاله قتادة بقوله: «كأن قتادة وجّه معنى القرآن إلى أنه مصدر، من قول القائل: قد قَرَأَتْ هذه الناقة في بطنها جنينًا؛ إذا ضَمّتْ رحمها على ولدها».
وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٦ – ٤٧٧) أنّ قوله: ﴿وقرآنه﴾ يحتمل الأمرين.

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18).

أي: فإذا قرأ جِبْريلُ عليك القُرآنَ –يا محمَّدُ– فاستَمِعْ لِقراءتِه حتَّى يَفرُغَ، ثمَّ اقْرَأْه كما أقرَأَك.[60]

وقال سُبحانَه: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الأعراف: 204].

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19).

أي: ثمَّ إنَّ علينا أن نُبيِّنَ لك –يا محمَّدُ– معانيَ القُرآنِ.

---

(60) اختُلف في المراد بقوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ على أقوال: الأول: فإذا بَيّناه فاعمل بما فيه.

الثاني: فإذا أنزلناه فاستَمِع قرآنه.

الثالث: فإذا تُلي عليك فاتّبع شرائعه وأحكامه.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٥٠٣) –مستندًا إلى السياق– القول الأخير الذي قاله ابن عباس من طريق العَوفيّ، وقاله قتادة، والضَّحّاك، فقال: «لأنه قيل له: ﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك ﴿وقرآنه﴾، وقد دللنا على أنّ معنى قوله: ﴿وقرآنه﴾ وقراءته، فقد بَيّن ذلك عن معنى قوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٧ بتصرف) أنّ قوله: ﴿فاتبع﴾ يحتمل القول الثاني والثالث، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فاتبع﴾ يحتمل أن يريد: بذِهْنك وفِكْرك، أي: فاستمع قراءته، ويحتمل أن يريد: فاتّبع في الأوامر والنواهي».

سورةُ القيامةِ

الآيات (20–25)

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا
نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25)

غريب الكلمات:

نَاضِرَةٌ: أي: مُشرِقةٌ مُتهَلِّلةٌ حَسَنةٌ؛ يقالُ: نَضَرَ وَجهُ فلانٍ: إذا حَسُنَ مِن النِّعمةِ، وأصلُ (نضر): يدُلُّ على حُسنٍ وجمالٍ.

بَاسِرَةٌ: أي: كَئيبةٌ مُتكَدِّرةٌ عابِسةٌ مُسْوَدَّةٌ.

فَاقِرَةٌ: أي: داهِيةٌ عظيمةٌ تَكسِرُ فَقَارَ الظَّهرِ، وأصلُ (فقر): يدُلُّ على انفِراجٍ في شَيءٍ.

تفسير الآيات:

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20).

أي: ليس الأمرُ كما تَزعُمونَ مِن إنكارِ البَعْثِ أو غيرِه مِنَ الحَقّ، وإنَّما الَّذي دعاكم لذلك: هو أنَّكم تُحِبُّونَ الدُّنيا، وتَنشَغِلونَ بها!

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21).

أي: وتَترُكونَ الآخِرةَ، وتُعرِضُونَ عنها.

كما قال الله تبارك وتعالى: إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا [الإنسان: 27].

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22).

أي: وُجوهٌ يومَ القيامةِ حَسَنةٌ بَهِيَّةٌ مُشرِقةٌ.

كما قال تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: 22 – 24].

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23).

أي: تَنظُرُ إلى رَبِّهَا سُبحانَه وتعالى في الآخِرةِ.(61)

---

(61) اختُلف في المراد بقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ على قولين: الأول: أنها تَنظر إلى ربِّها.

الثاني: أنها تَنتظر الثواب من ربِّها.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٥٠٩ - ٥١٠) -مستندًا إلى السنة- القول الأول الذي قاله ابن عباس، والضَّحّاك، وعكرمة، والحسن، وعطية العَوفيّ، ومقاتل، ومعمر، ومالك بن أنس، فقال: «وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القولُ الذي ذكرناه عن الحسن، وعكرمة، من أنّ معنى ذلك: تَنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله - ﷺ -».

وساق الحديث الوارد عن ابن عمر في تفسير الآية.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٧٨) أنّ القول الأول قول جميع أهل السنة.

وبنحوه قال ابنُ القيم (٣/ ٢٣١).

وعلَّق ابنُ كثير (١٤/ ١٩٩) على هذا القول بقوله: «وهذا بحمد الله مُجمعٌ عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو مُتَّفق عليه بين أئمة الإسلام وهُداة الأنام».

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٤٧٩) القول الثاني الذي قاله مجاهد، وأبو صالح، بقوله: «وهذا وجه سائغ في العربية كما تقول: فلان ناظر إليك في كذا، أي: إلى صُنعك في كذا».

ثم قال: «والرؤية إنما يثبتها بأدلة قطعية غير هذه الآية، فإذا ثبتت حسُن تأويل أهل السنة في هذه الآية وقَوِي».

وانتقده ابنُ كثير مستندًا للقرآن والسنة، فقال: «ومَن تأول ذلك بأن المراد مفرد الآلاء، وهي النعم فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأَبطل فيما ذهب إليه.

وأين هو من قوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥]، قال الشافعي؟: ما حجب الفجار إلا وقد عُلم أنّ الأبرار يرونه - عز وجل -.

ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله - ﷺ - بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾».

وذكر أنّ بعض المعتزلة ذهبوا في هذه الآية إلى أنّ قوله: ﴿إلى﴾ ليست بحرف الجر، وإنما هي «إلى» واحدة الآلاء، وعلَّق عليه بقوله: «فكأنه قال: نعمة ربِّها مُنتظِرة أو ناظرة، من النظر بالعين، ويقال: نظرتك، بمعنى: انتظرتك».

وانتقده ابنُ القيم (٣/ ٢٣٢) مستندًا للغة، فقال: «يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب؛ فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله، وعدّاه بحرف إلى التي إذا اتصل بها فِعْل النظر كان من نَظَر العين ليس إلا».

كما قال تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [يونس: 26].

عن صُهَيبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((إذا دَخَل أهلُ الجنَّةِ الجَنَّةَ يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: تُريدون شيئًا أَزيدُكم؟ فيقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجوهَنا؟! أَلم تُدخِلْنا الجنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟! قال: فيَكشِفُ الحِجابَ، فما أُعطُوا شيئًا أحبَّ إليهم مِن النَّظَرِ إلى رَبِّهم عزَّ وجَلَّ!))، ثمَّ تلا هذه الآيةَ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [يونس: 26].[62]

وعن أبي هُرَيرةَ وأبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ النَّاسَ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، هل نرى رَبَّنا يومَ القيامةِ؟ قال: هل تُمارُونَ[63] في القَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ ليس دُونَه سَحابٌ؟ قالوا: لا يا رَسولَ اللهِ. قال: فهل تمارُونَ في الشَّمسِ ليس دُونَها سَحابٌ؟ قالوا: لا. قال: فإنَّكم تَرَونَه كذلك)).[64]

---

(62) رواه مسلم (181).

(63) تُمارُونَ: أي: تَشُكُّون، والمِرْيةُ: الشَّكُّ.

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: هل يَحصُلُ لكم تَمارٍ واختِلافٌ في رؤيتِهما؟ فكما لا يَحصُلُ لكم في رؤيتِهما تَمارٍ واختِصامٌ، فكذلك رؤيةُ اللهِ عزَّ وجل.

والتَّماري والتَّنازُعُ إنَّما يقعُ مِن الشَّكِّ وعدمِ اليقينِ، كما يقعُ في رؤيةِ الأهِلَّةِ.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن رجب (4/415).

(64) رواه البخاري (806) واللفظ له، ومسلم (182).

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24).

أي: ووُجوهٌ يومَ القيامةِ مُظلِمةٌ مُتجَهِّمةٌ كئيبةٌ مُتكَدِّرةٌ؛ مِن شَقاءِ أصحابِها وبُؤسِهم.

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [يونس: 27].

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25).

أي: يَظُنُّ الكُفَّارُ أنَّ داهِيةً عَظيمةً وعُقوبةً شَديدةً ستُصيبُهم؛ فلذلك تغَيَّرتْ وُجوهُهم!

سورةُ القيامةِ

الآيات (26-35)

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (34) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى
(35)

غريب الكلمات:

التَّرَاقِيَ: جمعُ تَرْقُوةٍ: وهي ثُغرةُ النَّحرِ، أو عَظْمٌ يَصِلُ ما بيْن ثُغْرةِ النَّحرِ والعاتِقِ، ولكُلِّ إنسانٍ تَرْقُوتانِ عن يمينِه وعن شمالِه، ويُكْنَى ببُلوغِ النَّفْسِ التَّراقيَ عن الإشفاءِ على الموتِ.

مَنْ رَاقٍ: أي: مَنْ صاحِبُ رُقيةٍ أو طَبيبٌ يَرقِيه فيَشفِيه برُقْيَتِه أو دَوائِه؟ يُقالُ: رَقاه يَرْقِيه رُقْيةً: إذا عَوَّذَه بما يَشْفِيه، كأنَّهم طَلَبوا له الرُّقْيةَ والشِّفاءَ. وقيل: مَن يَرْقَى ويَصعَدُ برُوحِه مِن الملائِكةِ؟ مِن رَقِيَ يَرْقَى رُقِيًّا. وأصلُ (رقي) هنا: يدُلُّ على عُوذةٍ يُتعَوَّذُ بها، ويدُلُّ على الصُّعودِ.

الْمَسَاقُ: أي: المَرجِعُ والمآبُ، وأصلُ (سوق): يدُلُّ على حَدْوِ الشَّيءِ.

يَتَمَطَّى: أي: يَتبَختَرُ ويَختالُ في مِشْيَتِه؛ مِنَ المَطَا، وهو الظَّهرُ، فيَلْوي ظَهْرَه تبختُرًا. أو مِنَ المطِّ: وهو المَدُّ؛ لأنَّه يتبَختَرُ ويمُدُّ يَدَيه في المشْيِ، وأصلُه «يتمَطَّطُ»، فجُعِلَت الطَّاءُ الثَّالثةُ ياءً؛ للتَّخفيفِ.

أَوْلَى لَكَ: أي: وَلِيَكَ المكروهُ، وقارَبَك ما يُهلِكُك، وهو أفعَلُ، مِنَ الوَلْيِ: وهو القُربُ، ومَعناه التَّوعُّدُ والتَّهدُّدُ. وقيل: وَعيدٌ بمعنى: وَيْلٌ لك، وأصلُ أَوْلى: أَوْيَلُ، أي: أشَدُّ وَيْلًا، فوقَعَ فيه قَلبٌ، ووَزْنُه أفلَعُ، مأخوذٌ مِنَ الوَيلِ.

تفسير الآيات:

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26).

أي: كَلَّا إذا بلَغَت الرُّوحُ العِظامَ الموجودةَ عندَ ثُغْرةِ النَّحرِ في أعلى الصَّدرِ، وبدايةِ الحُلقومِ، وذلك عندَ مَوْتِ الإنسانِ.

كما قال الله تبارك وتعالى: فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [الواقعة: 83 – 87].

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27).

أي: وقيلَ: هل مِن راقٍ يَرْقِيه، وطبيبٍ يُداويه؛ فيَشفَى مِن مَرَضِه؟[65]

---

(65) اختُلف في المراد بقوله: ﴿وقيل من راق﴾ على قولين: الأول: أنّ المراد: مَن يَرقي هذه العلّة.

الثاني: أنّ المعنى: مَن يصعد بروحه؛ ملائكة العذاب أم الرحمة؟.

وساق ابنُ القيم (٣/ ٢٣٢) القولين، ثم علّق بقوله: «فعلى الأول تكون مِن رقى يرقي؛ كرمى يرمي، وعلى الثاني من رقي يرقى؛ كشقِي يشقى.

ومصدره: الرقاء، ومصدر الأول: الرقية».

ثم رجَّح (٣/ ٢٣٣ – ٢٣٤ بتصرف) –مستندًا إلى الدلالة العقلية، والواقع، واللغة– القول الأول الذي قاله ابن عباس، وعكرمة، والضَّحّاك، وقتادة، وابن زيد، وقتادة، وأبو قِلابة، وانتقد الثاني، فقال: «والقول الأول أظهر لوجوه: أحدها: أنه ليس كلّ ميت يقول حاضروه: مَن يَرقى بروحه، وهذا إنما يقوله مَن يُؤمن برقي الملائكة بروح الميت، وأنهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب، بخلاف التماس الرّقية وهي الدعاء فإنه قلّ ما يخلو منه المُحتضر.

الثاني: أنّ الروح إنما يرقى بها المَلَك بعد مُفارقتها، وحينئذ يقال: مَن يرقى بها؟ وأما قبل المفارقة فطَلب الرّقية للمريض من الحاضرين أنسب من طلب علم مَن يَرقي بها إلى الله.

الثالث: أنّ فاعل الرّقية يمكن العلم به، فيَحسن السؤال عنه، ويفيد السامع، وأمّا الراقي إلى الله فلا يمكن العلم بتعيينه حتى يُسأل عنه، و﴿من﴾ إنما يُسأل بها عن تعيين ما يمكن السائل أن يصل إلى العلم بتعيينه.

الرابع: أنّ مثل هذا السؤال إنما يُراد به تحضيضٌ وإثارة اهتمام إلى فعلٍ يقع بعد مِن نحو قوله: ﴿مَن ذا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أو يُراد به إنكار فعل ما يذكر بعدها كقوله: ﴿مَن ذا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفِعْل الراقي إلى الله لا يَحسن فيه واحد من الأمرين هنا، بخلاف فاعل الرّقية فإنه يَحسن فيه الأول.

الخامس: أنّ هذا خرج على عادة العرب وغيرهم في طلَب الرّقية لمن وصل إلى مثل تلك الحال، فحكى الله سبحانه ما جَرتْ عادتهم بقوله، وحذف فاعل القول؛ لأنه ليس الغرض مُتعلقًا بالقائل بل بالقول، ولم تَجرِ عادة المُخاطبين بأن يقولوا: مَن يَرقى بروحه.

فكان حمْل الكلام على ما أُلف وجَرت العادة بقوله أولى؛ إذ هو تذكير لهم بما يُشاهدونه ويَسمعونه.

السادس: أنه لو أريد هذا المعنى لكان وجه الكلام أن يُقال: مَن هو الرّاقي؟ ومن الرّاقي؟ ولا وجه للكلام غير ذلك، كما يقال: مَن هو القائل منكما كذا وكذا؟ وفي الحديث: «من القائل كلمة كذا؟».

السابع: إنّ كلمة ﴿مَن﴾ إنما يُسأل بها عن التعيين، كما يقول: مَن الذي فعل كذا، ومَن ذا الذي قاله، فيعلم أنّ فاعلًا وقائلًا فعل وقال، ولا يعلم تعيينه فيسأل عن تعيينه بمن تارة وبأي تارة، وهم لم يسألوا عن تعيين المَلَك الراقي بالروح إلى الله.

فإن قيل: بل علموا أنّ مَلك الرحمة والعذاب صاعد بروحه، ولم يَعلموا تعيينه، فيسأل عن تعيين أحدهما.

قيل: هم يعلمون أنّ تعيينه غير ممكن، فكيف يسألون عن تعيين ما لا سبيل للسامع إلى تعيينه ولا إلى العلم به؟! الثامن: أنّ الآية إنما سيقتْ لبيان يأسه من نفسه ويأس الحاضرين معه، وتحقق أسباب الموت، فالحاضرون لَمّا علموا أنه لم يبقَ لأسباب الحياة المعتادة تأثير في بقائه طلبوا أسبابًا خارجة عن المقدور تُستجلب بالرّقى والدعوات، فقالوا: من راق؟ أي: مَن يَرقي هذا العليل من أسباب الهلاك.

والرّقية عندهم كانت مستعملة حيث لا يُجدي الدواء.

التاسع: أنّ مثل هذا إنما يُراد به النفي والاستبعاد، وهو أحد التقديرين في الآية، أي: لا أحد يَرقي من هذه العلّة بعد ما وصَل صاحبها إلى هذه الحال.

فهو استبعاد لنفي الرّقية، لا طلب لوجود الراقي، كقوله: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ [يس: ٧٨] أي: لا أحد يحييها، وقد صارت إلى هذه الحال.

فإنْ أريد بها هذا المعنى استحال أن يكون من الرّقي، وإنْ أريد بها الطلب استحال أيضًا أن يكون منه، وقد بَيّنا أنها في مثل هذا إنما تُستعمل للطلب أو للإنكار.

وحينئذ فتقول في الوجه العاشر: إنها إمّا أن يُراد بها الطلب أو الاستبعاد، والطلب إمّا أن يُراد به طلب الفعل أو طلب التعيين، ولا سبيل إلى حمْل واحد من هذه المعاني على الرّقي؛ لما بَيّناه».

وبنحوه قال ابنُ تيمية (٦/ ٤٢٩).

وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28).

أي: وأيقَن المُحتَضَرُ أنَّه مُفارِقٌ الدُّنيا والأموالَ والأولادَ، والأهلَ والأحبابَ.

وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29).

أي: وتتابَعَتْ على المُحتَضَرِ الشَّدائِدُ![66]

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30).

أي: إلى رَبِّك يومَئذٍ المرجعُ.

---

(66) اختُلف في المراد بقوله: ﴿والتفت الساق بالساق﴾ على أقوال: الأول: أنّ المعنى: والتفّتْ شِدّة أمر الدنيا بشِدّة أمر الآخرة.

الثاني: التفّتْ ساقا الميت إذا لُفَّتا في الكفن.

الثالث: التفاف ساقي الميت عند الموت.

الرابع: أنه عني بذلك يُبسهما عند الموت.

الخامس: والتفّ أمْرٌ بأمْرٍ.

السادس: والتفّ بلاء ببلاء.

ورجّح ابنُ جرير (٢٣/ ٥٢٢ بتصرف) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول الذي قاله ابن عباس، ومجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وكذا قاله الضّحّاك، والربيع، وغيرهم، فقال: «والذي يدل على أنّ ذلك تأويله قوله: ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾، والعرب تقول لكل أمر اشتدّ: قد شمَّر عن ساقه، وكشَف عن ساقه.

وعنى بقوله: ﴿التفت الساق بالساق﴾ التصقتْ إحدى الشِّدتين بالأخرى، كما يقال للمرأة إذا التصقتْ إحدى فخذيها بالأخرى: لفّاءُ».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٨١) أنّ لفّ الساق بالساق –على هذا القول– استعارة لشِدّة كَرْب الدنيا في آخر يوم منها، وشِدّة كَرْب الآخرة في أول يوم منها؛ لأنه بين الحالين قد اختلطا له، ثم قال: «وهذا كما تقول: شمّرت الحرب عن ساق».

وبيّن أنه على القول الثاني –الذي قاله الحسن، وابن المسيب– فاللّفّ حقيقة.

كما قال تعالى: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ [الأنعام: 61، 62].

وقال سُبحانَه: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ [الانشقاق: 6].

وعن البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((إنَّ العبْدَ المؤمِنَ إذا كانَ في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنْيا، وإقْبالٍ مِنَ الآخِرةِ، نزَلَ إليه مَلائكةٌ مِنَ السَّماءِ بِيضُ الوُجوه، كَأنَّ وُجوهَهُمُ الشَّمْسُ، معَهُم كَفَنٌ مِن أكْفانِ الجَنَّةِ، وحَنوطٌ مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّى يَجْلِسوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ المَوتِ عليه السَّلامُ، حتَّى يَجلِسَ عندَ رَأْسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ، اخْرُجي إلى مَغْفرةٍ مِنَ اللهِ ورِضْوانٍ. فتَخرُجُ تَسيلُ كما تَسِيلُ القَطْرةُ مِن فِي السِّقَاءِ، فيَأْخُذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عَينٍ حتَّى يَأخُذوها، فيَجْعَلوها في ذلك الكَفَنِ، وفي ذلك الحَنُوطِ، ويَخرُجُ منها كأَطْيَبِ نَفْحةِ مِسْكٍ وُجِدَت على وَجْهِ الأرضِ. فيَصْعَدونَ بها، فلا يَمُرُّونَ بها على مَلَأٍ مِنَ المَلائِكَةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فيَقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ؛ بأحْسَنِ أسمائِه الَّتي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنيا، حتَّى يَنْتَهوا بها إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَسْتَفتِحون له، فيُفتَحُ لهم، فيُشَيِّعُه مِن كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبوها إلى السَّماءِ الَّتي تَلِيها، حتَّى يُنْتَهى به إلى السَّماءِ السَّابِعةِ، فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبوا كِتابَ عَبْدي في عِلِّيِّينَ، وأَعِيدُوه إلى الأرضِ؛ فإنِّي منها خلَقْتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى...

وإنَّ العَبدَ الكافِرَ إذا كان في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا، وإقبالٍ مِنَ الآخِرةِ، نَزَل إليه مِن السَّماءِ مَلائكةٌ سُودُ الوُجوهِ، مَعَهمُ المُسُوحُ، فيَجْلِسونَ منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجيءُ مَلَكُ المَوتِ حتَّى يَجلِسَ عِندَ رَأسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الخَبيثةُ، اخْرُجي إلى سَخَطٍ مِن اللهِ وغَضَبٍ! فتَفَرَّقُ في جسَدِه، فيَنتَزِعُها كما يُنتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلولِ، فيَأْخُذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَينٍ حتَّى يَجْعَلوها في تِلك المُسوحِ، ويَخْرُجُ منها كأنْتَنِ رِيحِ جِيفةٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ. فيَصْعَدونَ بها، فَلا يَمُرُّون بها على مَلأٍ مِنَ الملائكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟! فيَقولونَ: فُلانُ بنُ فلانٍ؛ بأقبَحِ أسمائِه الَّتي كان يُسمَّى بها في الدُّنيا، حتَّى يُنتَهى به إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيُستَفتَحُ له، فلا يُفتَحُ له، ثمَّ قرَأ رَسولُ اللهِ - ﷺ -: لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف: 40]. فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبوا كِتابَه في سِجِّينٍ في الأرضِ السُّفْلى، فتُطْرَحُ رُوحُه طَرحًا. ثمَّ قرَأ: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج: 31] ...)).(67)

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31).

أي: فلم يُصَدِّقْ بما وجب عليه التَّصديقُ به، ولا صلَّى ما أُمِرَ بأدائِه مِنَ الصَّلَواتِ.

---

(67) أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ في ((المصنَّف)) (12059)، وأحمدُ (18534)، والطيالسيُّ (789)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (107) بألفاظٍ مُتقاربةٍ.

صحَّح إسنادَه الطبريُّ في ((مسند ابن عمر)) (2/494)، والبيهقيُّ في ((شعب الإيمان)) (1/300)، وقال ابنُ مَنْدَه في ((الإيمان)) (398): (إسنادُه مُتَّصِلٌ مَشهورٌ ثابتٌ على رَسمِ الجَماعةِ).

وصَحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح الترغيب)) (3558).

وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32).

أي: ولكِنْ كذَّبَ بالحَقِّ فلم يُؤمِنْ به، وأعرَضَ عنه فلم يَعمَلْ به.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33).

أي: ثمَّ مَضَى إلى أهلِه مُتبَختِرًا مُعْجَبًا بنَفْسِه، غيرَ مُبالٍ بكُفْرِه ومَعاصيه.

أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (34).

أي: قال اللهُ تعالى مُتوَعِّدًا ومُهَدِّدًا هذا الكافِرَ: وَلِيَك الهَلاكُ، وقَرُبَ منك المكروهُ!

ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (35).

أي: ثمَّ وَلِيَكَ الهلاكُ، وقَرُبَ منك المكروهُ!

سورةُ القيامةِ

الآيات (36-40)

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً

فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ

يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)

غريب الكلمات:

سُدًى: أي: هَمَلًا لا يُؤمَرُ ولا يُنْهَى، وأصلُ (سدو): يدُلُّ على إهمالٍ وذَهابٍ على وَجهٍ.

نُطْفَةً: النُّطفةُ: الماءُ الصَّافِي، ويُعَبَّرُ بها عن ماءِ الرَّجُلِ والمرأةِ، وأصلُ (نطف): يدُلُّ على نَدوةٍ وبَلَلٍ.

عَلَقَةً: العَلَقةُ: الدَّمُ الجامِدُ، وأصلُ (علق): يدُلُّ على تعلُّقِ شَيءٍ بشَيءٍ.

فَسَوَّى: عدَّل، وأتقَن، والتَّسويةُ: جعلُ الشَّيءِ سواءً، أي: مُعَدَّلًا مُقوَّمًا، وأصْلُ (سوي): يَدُلُّ على استقامةٍ واعْتِدالٍ بينَ شيئَيْنِ.

تفسير الآيات:

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36).

أي: أيظُنُّ الإنسانُ أن يَترُكَه اللهُ في الدُّنيا مُهمَلًا لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى، ولا يُبعَثُ بعدَ موتِه للثَّوابِ أو العِقابِ؟![68]

كما قال الله تبارك وتعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ [المؤمنون: 115].

وقال سُبحانَه: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ [ص: 27].

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37).

أي: ألم يكُنْ في أوَّلِ أمْرِه ماءً قَليلًا مِن مَنيٍّ يُراقُ؟!

كما قال الله تبارك وتعالى: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ [الواقعة: 58، 59].

---

(68) اختُلف في المراد بقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ على قولين: الأول: أنّ المعنى: لا يُبعث.
الثاني: لا يُؤمر ولا يُنهى.
ورجَّح ابنُ كثير (١٤/ ٢٠٣) عموم الآية للحالين، فقال: «والظاهر أنّ الآية تعمّ الحالين، أي: ليس يُترك في هذه الدنيا مُهمَلًا لا يُؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سُدًى لا يُبعث، بل هو مأمور منهيٌّ في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة».
وذكر ابنُ القيم (٣/ ٢٣٤) القول الثاني، وذكر قولًا آخر وهو أنّ المعنى: لا يُثاب ولا يُعاقب.
ثم علَّق بقوله: «والصحيح: الأمران؛ فإنّ الثواب والعقاب مُترتّبان على الأمر والنهي، والأمر والنهي طلب العبادة وإرادتها، وحقيقة العبادة امتثالهما».

وقال سُبحانَه: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ [المرسلات: 20 – 22].

وقال عزَّ وجلَّ: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ [الطارق: 5، 6].

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38).

أي: ثمَّ صار الإنسانُ بعدَ النُّطفةِ قِطْعَةَ دَمٍ جامِدةً، فخَلَقَه اللهُ وسَوَّاه، فأتقَنَه وأحكَمَه، فصار في غايةِ الاعتدالِ!

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ [الانفطار: 6، 7].

فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39).

أي: فجَعَل اللهُ منه الصِّنفَينِ: الذُّكورَ والإناثَ.(69)

كما قال الله تبارك وتعالى: وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى [النجم: 45، 46].

---

(69) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٨٣) أنّ قوله تعالى: ﴿الزوجين﴾ يحتمل احتمالين: الأول: النوعين.
الثاني: المُزدوجين من البشر.
وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٢٠٣) أنّ تَناوُل القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة، وإما مساوية على القولين في قوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧].
ثم ذكر أنّ الأول أشهر.

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40).

أي: أليس الَّذي فعَل ذلك كُلَّه بقادِرٍ على إحياءِ الموتى، وإعادتِهم كما كانوا؟! سُبحانَك اللَّهُمَّ فبَلَى!

كما قال تعالى: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس: 78 – 82].

وعن بُسرِ بنِ جِحاشٍ القُرَشيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، ((أنَّ النبيَّ – ﷺ – بزَقَ يومًا في كَفِّه، فوضع عليها أُصبُعَه، ثمَّ قال: قال اللهُ: ابنَ آدمَ، أنَّى تُعجِزُني، وقد خلقتُك مِن مِثلِ هذه؟! حتى إذا سَوَّيتُك وعَدَّلتُك، مَشَيت بينَ بُردَينِ[70] وللأرضِ مِنك وَئِيدٌ،[71] فجَمَعْتَ ومَنَعْتَ، حتى إذا بلَغَتِ التَّراقيَ، قلتَ: أتصدَّقُ! وأنَّى أوانُ الصَّدَقةِ؟!)).[72]

---

(70) البُرْدُ: نوعٌ من الثيابِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (116/1).
(71) الوئيدُ: صوتُ شِدَّةِ الوطءِ على الأرضِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (143/5).
(72) أخرجه ابن ماجه (2707)، وأحمد (17844)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (32/2) (1193)، والحاكم في ((المستدرك)) (3855).
صحَّح إسنادَه الحاكم، والبوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (143/3)، وصحَّح الحديثَ الألباني في ((صحيح الجامع)) (8144).

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ الله عنهما: (أنَّه كان إذا قرأ: أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [القيامة: 40] قال: سُبحانَك اللَّهُمَّ بلَى، وإذا قرأ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى [الأعلى: 1] قال: سبحانَ ربِّيَ الأعلَى).[73]

(73) أخرجه عبد الرَّزَّاق (4051) واللَّفظُ له، والبَيْهَقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (2100).
صحَّحه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (48/2)، وصحَّح إسنادَه الألبانيُّ في ((صفة الصلاة)) (ص: 105).

سورةُ الإنسانِ

سورةُ الإنسانِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الإنسانِ).[74]

وسُمِّيَتْ أيضًا بسورةِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ؛[75] فعن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنه، قال: ((كان النَّبيُّ - ﷺ - يَقرأُ في الجُمُعةِ في صَلاةِ الفَجرِ: الم * تَنْزِيلُ السَّجدةَ، وهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ)).[76]

---

(74) سُمِّيَت السُّورةُ بذلك؛ لافتِتاحِها بذِكرِ الإنسانِ وخَلْقِه.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (493/1).

(75) قال ابنُ عاشور: (وسُمِّيَت في زَمَنِ أصحابِ رَسولِ اللهِ - ﷺ - سورةَ: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ).

((تفسير ابن عاشور)) (369/29).

وتُسمَّى أيضًا سورةَ (الدَّهرِ) و(الأبرارِ) و(الأمْشاجِ).

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (120/21)، ((تفسير الألوسي)) (166/15)، ((تفسير ابن عاشور)) (369/29).

(76) أخرجه البخاري (1068) واللَّفظُ له، ومسلم (880).

فضائل السورة وخصائصها:

أنَّه يُستحَبُّ القِراءةُ بها في صلاةِ الصُّبحِ يومَ الجُمُعةِ في الرَّكعةِ الثَّانيةِ.(77)

فعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – كان يَقرأُ في الصُّبحِ يومَ الجُمُعةِ: بِ الم * تَنْزِيلُ في الرَّكعةِ الأُولَى، وفي الثَّانيةِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)).(78)

سورةُ الإنسانِ مَكِّيَّةٌ.(79) وقيل: مَدَنيَّةٌ.(80)

---

(77) والحِكمةُ في استحبابِ قراءة سورةِ (الإنسان) في الرَّكعةِ الثَّانيةِ مِن صلاةِ الصُّبحِ يومَ الجُمُعةِ وقِراءةِ سُورةِ (السَّجدةِ) في الرَّكعةِ الأُولى؛ لِما اشتملت عليه هاتان السُّورتانِ ممَّا كان ويكونُ مِن المبدأِ والمَعادِ، وحَشرِ الخلائقِ، وبَعْثِهم مِن القُبورِ إلى الجنَّةِ أو النَّارِ؛ ففيهما بَدْءُ خَلقِ الإنسانِ، وآدمُ خُلِق يومَ الجُمُعةِ، وفيهما ذِكرُ القيامةِ، وفي يومِ الجُمُعةِ تقومُ السَّاعةُ؛ فاستُحِبَّ قراءةُ هاتَينِ السُّورتَينِ في هذا اليومِ؛ تذكيرًا للأُمَّةِ بما كان فيه ويكونُ.

يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (206/24)، ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (63/4)، ((زاد المعاد)) لابن القيم (408/1).

(78) أخرجه البخاري (891)، ومسلمٌ (880) واللَّفظُ له.

(79) وحكى ابنُ تيميَّةَ اتِّفاقَ النَّاسِ على كونِها مَكِّيَّةً، نزلت قبْلَ الهِجرةِ.

يُنظر: ((منهاج السنة النبوية)) لابن تيمية (553/8).

قال ابنُ عاشور: (الأصَحُّ أنَّها مَكِّيَّةٌ؛ فإنَّ أُسلوبَها ومعانيَها جاريةٌ على سَنَنِ السُّوَرِ المكِّيَّةِ).

((تفسير ابن عاشور)) (370/29).

(80) وقيل: السُّورةُ مدنيةٌ إلَّا قولَه: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان: 24] ؛ فمَكِّيٌّ.

وقيل: مِن قولِه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا [الإنسان: 23] إلى آخِرِها مَكِّيٌّ.

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (398/4)، ((تفسير الزمخشري)) (665/4)، ((تفسير ابن عطية)) (380/5)، ((تفسير ابن جزي)) (4/ 374).

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

ذِكْرُ خَلْقِ بني آدمَ، وانقِسامِهم، ومآلِهم يومَ القيامةِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- تذكيرُ الإنسانِ بنِعَمِ اللهِ تعالى عليه؛ حيث خلَقَه سُبحانه مِن نُطفةٍ أَمْشاجٍ، وجعَلَه سميعًا بصيرًا، وهداه السَّبيلَ.

2- ذِكرُ ما أعَدَّ اللهُ تعالى مِن النَّعيمِ لِمَن أطاعه واتَّقاه.

3- إنذارُ الكافِرينَ بسُوءِ العاقِبةِ.

4- إثباتُ أنَّ هذا القرآنَ مِن عندِ اللهِ تعالى.

5- ذِكرُ المِنَّةِ على الرَّسولِ - ﷺ - بإنزالِ القُرآنِ عليه، وأمْرُه بالصَّبرِ وذِكرِ اللهِ تعالى، والسُّجودِ له وتسبيحِه.

6- بيانُ أنَّ مَشيئةَ اللهِ تعالى فوقَ كُلِّ مَشيئةٍ.

سورةُ الإنسانِ

الآيات (1–3)

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)

غريب الكلمات:

الدَّهْرِ: الدَّهْرُ اسمٌ للزَّمانِ الطَّويلِ ومُدَّةِ الحياةِ الدُّنيا، وهو في الأصلِ: اسمٌ لِمُدَّةِ العالَمِ مِن مَبدأِ وُجودِه إلى انقضائِه، ثمَّ يُعبَّرُ به عن كلِّ مُدَّةٍ كثيرةٍ، بخِلافِ الزَّمانِ؛ فإنَّه يقَعُ على المدَّةِ القليلةِ والكثيرةِ، وأصلُ (دهر): هو الغلَبةُ والقَهرُ، وسُمِّيَ الدَّهْرُ دَهْرًا؛ لأنَّه يأتي على كلِّ شيءٍ ويَغْلِبُه.

نُطْفَةٍ: النُّطفةُ: الماءُ الصَّافي، ويُعَبَّرُ بها عن ماءِ الرَّجُلِ والمرأةِ، وأصلُ (نطف): يدُلُّ على نَدوةٍ وبَلَلٍ.

أَمْشَاجٍ: أي: أَخلاطٍ؛ مِن مَشَجْتُ الشَّيءَ: إذا خلَطْتَه؛ لأنَّ النُّطْفةَ مِن مَنِيِّ الرَّجُلِ ومَنِيِّ المرأةِ، وأصلُ (مشج): يدُلُّ على خَلْطٍ.

نَبْتَلِيهِ: أي: نَختَبِرُه ونَمتَحِنُه، والبلاءُ يكونُ في الخَيرِ والشَّرِّ، وأصلُ (بلي) هنا: الاختِبارُ.

تفسير الآيات:

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1).

أي: قد مَرَّ على الإنسانِ[81] قبْلَ أن يُخلَقَ زَمَنٌ طَويلٌ لم يكُنْ فيه شَيئًا يُذكَرُ!

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2).

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ.

أي: إنَّا خَلَقْنا كُلَّ إنسانٍ مِن ماءٍ قَليلٍ مكوَّنٍ مِن اختِلاطِ ماءِ الرَّجُلِ بماءِ المرأةِ؛ مِن أجْلِ أن نختَبِره في الدُّنيا.[82]

---

(81) اختُلف في المراد بـ ﴿الإنسان﴾ على قولين: الأول: انه اسم جنس.

الثاني: أنه آدم – ﷺ –.

ورجَّح ابنُ عطية (٨/ ٤٨٦ بتصرف) –مستندًا إلى أنه الأعمّ– القول الأول الذي قاله ابن عباس، فقال: «والقوي أنّ ﴿الإنسان﴾ اسم الجنس، وأنّ الآية جُعِلتْ عِبرة لكل أحد من الناس لِيَعلم أنّ الصانع له قادر على إعادته».

(82) اختُلف في معنى الأمشاج على أقوال: الأول: أنه اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

الثاني: أنها ألوان يَنتقل إليها، يكون نُطفة، ثم يصير عَلقة، ثم مُضغة، ثم عظمًا، ثم كُسي لحمًا.

الثالث: عُني بذلك اختلاف ألوان النُّطفة.

الرابع: العروق التي تكون في النُّطفة.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٥٣٥ – ٥٣٦) –مستندًا إلى الدلالة العقلية والواقع– القول الأول الذي قاله ابن عباس من طريق الضَّحّاك، وعطية، والسُّدِّيّ عن رجل، وقاله عكرمة من طريق الأصبهاني، والربيع، والحسن، ومجاهد من طريق أبي يحيى، ومقاتل.

وانتقد القول الثاني الذي قاله ابن عباس من طريق العَوفيّ، وعكرمة من طريق سِماك، وقتادة، والقول الثالث الذي قاله مجاهد من طريق ابن أبي نجيح، فقال: «لأنّ الله وصف النُّطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلتْ فصارتْ عَلقة فقد استحالتْ عن معنى

كما قال تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [الملك: 2].

فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا.

أي: فجَعَلْنا للإنسانِ سَمْعًا يَسمَعُ به الأصواتَ، وجعَلْنا له بَصَرًا يُبصِرُ به المَرئيَّاتِ.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3).

أي: إنَّا بَيَّنَّا للإنسانِ وعرَّفْناه طريقَ الحَقِّ الَّذي يُوصِلُه إلى رِضوانِ اللهِ وجَنَّتِه؛ فإمَّا أن يَسلُكَه فيكونَ شاكِرًا لنِعَمِ اللهِ مُوَحِّدًا طائِعًا، وإمَّا أن يَترُكَه فيكونَ كَفُورًا لنِعَمِ اللهِ مُشرِكًا عاصيًا.(83)

النُّطفة، فكيف تكون نُطفة أمشــاجًا وهي علقة؟! وأمّا الذين قالوا: إنّ نُطفة الرجل بيضــاء وحمراء، فإنّ المعروف من نُطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تَضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لونًا واحدًا لم تكن ألوانًا مختلفة».

ثم قال: «وأحسب أنّ الذين قالوا: هي العروق التي في النُّطفة قصدوا هذا المعنى».

(83) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٨٦) أنّ قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يريد السبيل العامة للمؤمن والكافر، وذلك بخَلْق الحواس، وموهبة الفِطرة، ونَصْب الصنعة الدالة على الصانع.

وعلَّق عليه بقوله: «و﴿هديناه﴾ –على هذا– بمعنى: أرشدناه، كما يُرشد الإنسان إلى الطريق، ويُوقف عليه».

الثاني: أنْ يريد بالسبيل اسم جنس، أي: هَدى المؤمن لإيمانه والكافر لكفره.

وعلَّق عليه بقوله: «ف ﴿هديناه﴾ –على هذا– كأنه بمعنى: أريناه فقط».

ثم قال: «وليس الهُدى في هذه الآية بمعنى: خَلْق الهدى والإيمان».

سورةُ الإنسانِ

الآيات (4–12)

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ
شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)
فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
(12)

غريب الكلمات:

وَأَغْلَالًا: جَمعُ غُلٍّ، وهو طَوقٌ تُشَدُّ به اليدُ إلى العُنُقِ، وأصلُ (غلل): يدُلُّ على إحاطةٍ وثَباتٍ.

وَسَعِيرًا: أي: نارًا تُسعَّرُ عليهم فتَتَوَقَّدُ، والسَّعيرُ اسْمٌ مِن أسماءِ جَهَنَّمَ، يُقال: سَعرْتُ النَّارَ، إذا ألهَبْتَها، وأصلُ (سعر): يدُلُّ على اشتِعالِ الشَّيءِ واتِّقادِه وارتِفاعِه.

الْأَبْرَارَ: أي: المؤمنينَ الصَّادقينَ في إيمانِهم، المُطيعينَ لربِّهم، جمعُ: بَرٍّ وبَارٍّ، وأصلُ (برر) هنا: الصِّدْقُ، يُقالُ: يَبَرُّ رَبَّه، أي: يُطيعُه، وهو مِنَ الصِّدقِ. وقيل: لَمَّا كان البَرُّ خِلافَ البحرِ، وتُصُوِّرَ منه التَّوسُّعُ، اشتُقَّ منه البِرُّ، وهو التَّوسُّعُ في فِعلِ الخَيرِ.

مِزَاجُهَا: أي: ما يُمازِجُها، يُقالُ: مَزَجَ الشَّرابَ: خلَطَه، وأصلُ (مزج): يدُلُّ على خَلْطِ الشَّيءِ بغَيرِه.

يُفَجِّرُونَهَا: أي: يُجْرُونَها ويُصَرِّفونَها ويَقودُونَها إلى حيث شاؤوا، والتَّفجيرُ: الإسالةُ والإجراءُ، والفَجْرُ: شَقُّ الشَّيءِ شَقًّا واسعًا، وأصلُ (فجر): التَّفَتُّحُ في الشَّيءِ.

مُسْتَطِيرًا: أي: فاشِيًا مُنتَشِرًا، وأصلُ (سطر): يدُلُّ على اصْطِفافِ شَيءٍ.

عَبُوسًا: أي: تَعبَسُ وتَنقَبِضُ فيه الوُجوهُ مِن هَولِه وشِدَّتِه، نُسِبَ العُبُوسُ إلى اليومِ، كما يُقالُ: يَومٌ صائِمٌ، ولَيلٌ قائِمٌ، والعُبُوسُ: تَقطُّبُ الوَجهِ عندَ كراهيةِ أمرٍ، وأصلُ (عبس): يدُلُّ على تَكَرُّهٍ.

قَمْطَرِيرًا: أي: شَديدًا صَعْبًا، والقَمْطَرِيرُ: أشَدُّ ما يكونُ مِنَ الأيَّامِ وأطوَلُه في البلاءِ، يُقالُ: يومٌ قَمطَرِيرٌ وقُماطِرٌ: إذا كان شَديدًا كريهًا.

وَلَقَّاهُمْ: أي: آتاهم، وأعْطاهم حينَ لَقُوه، وأصلُ (لقي) هنا: يدُلُّ على توافي شَيئَيْنِ.

نَضْرَةً: أي: حُسْنًا وإشراقًا وبَهْجةً، يُقالُ: نَضَرَ وَجهُ فُلانٍ: إذا حَسُنَ مِن النِّعمةِ، وأصلُ (نضر): يدُلُّ على حُسنٍ وجمالٍ.

تفسير الآيات:

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4).

أي: إنَّا هَيَّأْنا للكافِرينَ سلاسِلَ يُقادُونَ أو يُوثَقونَ بها، وقُيودًا في أعناقِهم، ونارًا حاميةً تتوقَّدُ ويَشتَدُّ التِهابُها.

قال تعالى: إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ [غافر: 71].

وقال سُبحانَه: مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [الإسراء: 97].

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5).

أي: إنَّ الطَّائِعينَ الصَّادِقينَ الَّذين يَسعَونَ في أعمالِ البِرِّ والخَيرِ يَشربونَ مِن كأسٍ مُمتَزِجٍ شَرابُها بالكافورِ.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6).

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ.

أي: هذا الكافورُ هو عَينٌ جاريةٌ يَرتَوي بها عِبادُ اللهِ.

يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا.

أي: يتصرَّفُ عِبادُ اللهِ في عَينِ الشَّرابِ بإنباعِها وإجرائِها حيث شاؤُوا!

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7).

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ.

أي: أولئك الأبرارُ يُوفُونَ في الدُّنيا بنُذورِهم الَّتي نَذَروها طاعةً للهِ، فألزَموا بها أنفُسَهم.

وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا.

أي: ويَخافُونَ يومَ القيامةِ الَّذي شرُّه في غايةِ الانتِشارِ والامتِدادِ.

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8).

أي: ويُطعِمونَ الطَّعامَ -مع محبَّتِهم إيَّاه، واشتِهائِهم له[84] - ويُؤْثِرونَ به المِسكينَ، والصَّغيرَ الَّذي فَقَدَ أباه، والأسيرَ.[85]

---

(84) الضمير في قوله: ﴿حبه﴾ عائد على الطعام، وهو ما ذكره ابنُ عطية (٨/ ٤٩٠)، ثم ذكر احتمالًا آخر بعوْده على الله تعالى، أي: لوجهه وابتغاء مرضاته، ونسبه لأبي سليمان الدّاراني.

ثم علَّق بقوله: «والأول أمدح لهم؛ لأنّ فيه الإيثار على النفس، وعلى الاحتمال الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٢٠٩ بتصرف) أنّ من قال بعوْد الضمير على الله تعالى فذلك لدلالة السياق عليه.

ثم رجَّح -مستندًا إلى النظائر- عوْده على الطعام، فقال: «والأظهر أنّ الضمير عائد على الطعام، كقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه﴾ [البقرة: ١٧٧]، وكقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢]».

وذكر ابنُ عطية أنّ الحسين بن الفضل قال بعوْد الضمير على الإطعام، وعلَّق عليه (٥/ ٤١٠ ط: دار الكتب العلمية) بقوله: «أي: مُحبّين في فعلهم ذلك، لا رياء فيه ولا تكلف».

(85) اختُلف في المراد بالأسير في هذه الآية على أقوال: الأول: أنه الأسير من أهل الشّرك.

الثاني: أنه المسجون من أهل القِبلة.

الثالث: المرأة.

كما قال تعالى: وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ [البقرة: 177].

وقال سُبحانَه: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران: 92].

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9).

وذكر ابنُ جرير (٢٣/ ٥٤٣ – ٥٤٤) أنّ «الأسير» هو الحربيّ من أهل دار الحرب يؤخذ قهرًا بالغلبة، أو من أهل القِبلة يؤخذ فيُحبس بحقٍّ.

ثم رجّح (٢٣/ ٥٤٥) العموم في الآية، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يُطعمون الأسير، والأسير الذي قد وصفت صفته؛ واسم الأسير قد يَشتمل على الفريقين، وقد عمّ الخبر عنهم أنهم يُطعمونهم، فالخبر على عمومه حتى يخصّه ما يجب التسليم له».

ثم قال: «وأما قول مَن قال: لم يكن لهم أسيرٌ يومئذ إلا أهل الشّرك، فإنّ ذلك وإن كان كذلك فلم يخصص بالخبر المُوفون بالنذر يومئذ، وإنما هو خبرٌ من الله عن كلّ من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معنيٌّ به أسير المشركين والمسلمين يومئذ وبعد ذلك إلى قيام الساعة».

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٤٩٠) على القول الثالث الذي قاله حمزة الثُّمالي، بقوله: «ودليله قوله – ﷺ –: «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن عوان عندكم»».

عن عبد الله بن عباس، في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ الآية، قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله – ﷺ –.

عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

انتقد ابنُ تيمية (٦/ ٤٣٩) القول بنزول الآية في علي وفاطمة وابنيهما مستندًا لأحوال النزول، والنظائر، والواقع، فقال: «أمّا نزول: ﴿هل أتى﴾ في عليٍّ فمما اتفق أهل العلم بالحديث على أنه كذبٌ موضوع، وإنما يذكره من المفسرين مَن جرتْ عادته بذكر أشياء من الموضوعات، والدليل الظاهر على أنه كذبٌ: أنّ سورة ﴿هل أتى﴾ مكّيّة باتفاق الناس، نزلت قبل الهجرة، وقبل أن يتزوج عليٌّ بفاطمة، ويُولد الحسن والحُسين....

ولم يَنزل قطّ قرآنٌ في إنفاق علي بخصوصه؛ لأنه لم يكن له مال، بل كان قبل الهجرة في عيال النبي – ﷺ –، وبعد الهجرة كان أحيانًا يُؤجّر نفسه كلّ دلو بتمرة، ولما تزوّج بفاطمة لم يكن له مهر إلا دِرعه، وإنما أنفق على العُرس ما حصل له من غزوة بدر».

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ.

أي: يَقولُ الأبرارُ: إنَّما نُطعِمُكم طلَبًا لرضا اللهِ تعالى ورجاءَ ثَوابِه.[86]

لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا.

أي: لا نَطلُبُ منكم مُكافأةً على ذلك، ولا نَطلُبُ منكم شُكْرًا ولا ثَناءً عليه.

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10).

أي: إنَّا نخافُ مِن رَبِّنا يومَ القيامةِ ذا الأهوالِ العظيمةِ، وذا الضِّيقِ والشِّدَّةِ.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ –كان يتعَوَّذُ من ضِيقِ المقامِ يومَ القيامةِ)).[87]

فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11).

فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

أي: فدَفَع اللهُ عن الأبرارِ شرَّ يَومِ القيامةِ.

---

(86) قال ابنُ عطية (٨/ ٤٩٠): «قوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ المعنى: يقولون لهم عند الإطعام، وهذا إمّا أن يكون المُطعِم يقول ذلك نصًّا فحكي ذلك، وإمّا أن يكون ذلك مما يقال في الأنفس وبالنية، فمدح بذلك.
هذا هو تأويل مجاهد، وابن جُبَير».

(87) أخرجه أبو داودَ (766)، والنَّسائيُّ (5535)، وابنُ ماجه (1356).
قال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (766): حَسَنٌ صحيحٌ.
وحَسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (766).

وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا.

أي: وأعطاهم اللهُ حُسْنًا في وُجوهِهم، وفَرَحًا في قُلوبِهم.

قال تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ [القيامة: 22].

وقال سُبحانَه: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ [عبس: 38، 39].

وقال عزَّ وجَلَّ: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: 24].

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12).

أي: وجَزاهم اللهُ تعالى بسَبَبِ صَبْرِهم جَنَّةً يَدخُلونَها، وحريرًا يَلْبَسُونَه.(88)

---

(88) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٩٢) أنّ قوله تعالى: ﴿بما صبروا﴾ عامٌّ؛ عن الشهوات، وعلى الطاعات، والشدائد، ثم علَّق بقوله: «ففي هذا يدخل كلّ ما خَصَّ الناس من صوم وفقر ونحوه».

سورةُ الإنسانِ

الآيات (13–18)

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18)

غريب الكلمات:

الْأَرَائِكِ: جمعُ أريكةٍ، وهي السَّريرُ في الحِجَالِ، وتسميتُها بذلك إمَّا لِكَونِها في الأرضِ مُتَّخَذةً مِن أراكٍ، وهو شجرةٌ، أو لِكَونِها مكانًا للإقامةِ، مِن قَولِهم: أَرَكَ بالمكان أُرُوكًا، وأصلُ الأُرُوكِ: الإقامةُ على رعْيِ الأَراكِ، ثمَّ تُجُوِّزَ به في غيرِه مِن الإقاماتِ، و(أرك) أصْلانِ: أحدُهما شَجَرٌ، والآخَرُ الإقامةُ.

زَمْهَرِيرًا: أي: بَردًا شديدًا.

وَدَانِيَةً: أي: قَريبةً، وأصل الدُّنُوِّ: القُرْبُ بالذَّاتِ أو بالحُكْمِ، ويُستعمَلُ في المكانِ والزَّمانِ والمَنزِلةِ.

قُطُوفُهَا: أي: ثِمارُها، جمعُ قِطْفٍ، وهو ما قُطِف مِن ثِمارِها، وقيل: القِطفُ: هو العُنقودُ مِن النَّخلِ والعنبِ، وأصلُ (قطف): يدُلُّ على أخْذِ ثَمَرةٍ مِن شَجَرةٍ.

قَوَارِيرَ: جَمعُ قارورةٍ، وهي: ما قَرَّ فيه الشَّرابُ ونَحوُه مِن كُلِّ إناءٍ رقيقٍ صافٍ كالزُّجاجِ، وأصلُ (قرر) هنا: يدُلُّ على تمكُّنٍ.

قَدَّرُوهَا: أي: أتوا بها على قَدرِ رِيِّهم، بغيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ، وأصلُ (قدر): يدُلُّ على مَبْلَغِ الشَّيءِ وكُنهِهِ ونهايتِه.

سَلْسَبِيلًا: السَّلْسَبيلُ: الشَّرابُ السَّهلُ اللَّذيذُ، يقالُ: هذا شرابٌ سَلِسٌ وسَلْسَالٌ وسَلْسَلٌ وسَلْسَبِيلٌ بمعنًى، أي: طيِّبُ الطَّعمِ، لذيذُه، سهلُ المساغِ.

تفسير الآيات:

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13).

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ.

أي: مُتَّكِئينَ في راحةٍ وطُمَأنينةٍ ورَفاهيَةٍ على السُّررِ الَّتي أُرخِيَ عليها ما يَستُرُها ويُزَيِّنُها، فتَكونُ مُغَطَّاةً بقُبَّةٍ مِن الثِّيابِ الفاخِرةِ.

قال تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ [المطففين: 22، 23].

لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا.

أي: لا يَرى الأبرارُ في الجنَّةِ شَمْسًا فيُؤذيَهم حَرُّها، ولا بَرْدًا شَديدًا.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((اشتكَتِ النَّارُ إلى رَبِّها، فقالت: يا رَبِّ، أكَلَ بَعْضي بَعْضًا، فأَذِنَ لها بنَفَسَينِ؛ نفَسٌ في الشِّتاءِ، ونفَسٌ في الصَّيفِ، فهو أشَدُّ ما تَجِدونَ مِنَ الحَرِّ، وأشَدُّ ما تَجِدونَ مِنَ الزَّمْهَريرِ)).[89]

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14).

---

(89) رواه البخاريُّ (3260)، ومسلمٌ (617) واللَّفظُ له.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا.

أي: وقَريبةً منهم ظِلالُ أشجارِ الجَنَّةِ.

وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا.

أي: وسُهِّلَ لهم قَطْفُ ثمارِها كيفَ شاؤُوا قُعودًا وقِيامًا ومُتَّكِئِينَ.

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (15).

أي: ويُطافُ على هؤلاءِ الأبرارِ بآنيةٍ مِن فِضَّةٍ، ويُطافُ عليهم بأكوابٍ عَظيمةٍ لا آذانَ لها ولا خَراطيمَ، صافيةٍ شفَّافةٍ كالزُّجاجِ.[90]

قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16).

قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ.

أي: تلك الأكوابُ الَّتي في صَفاءِ الزُّجاجِ وشَفافيَتِه هي مِن فِضَّةٍ.

---

(90) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٩٤) أنّ قوله تعالى: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ يَقتضي أنها من زجاج ومن فِضّة، ثم قال: «وذلك متمكن؛ لكونه من زجاج في شفوفه ومن فِضّة في جوهره، وكذلك فِضّة الجنة شفافة».

ونقل ابنُ القيم (٣/ ٢٣٦) أنّ ابن قتيبة قال: الآية على التشبيه، أراد: قوارير كأنها من فِضّة، وهذا كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، أي: لهنّ ألوان المرجان في صفاء الياقوت.

وانتقده مستندًا للغة، فقال: «وهذا مردود عليه؛ فإنّ الآية صريحة أنها من فِضّة، و﴿مِن﴾ ههنا لبيان الجنس كما تقول: خاتم من فِضّة.

ولا يُراد بذلك أنه يُشبه الفِضّة، بل جنسه ومادته الفِضّة».

قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا.

أي: قَدَّروا الأكوابَ على قَدْرِ كِفايتِهم، فلا تَزيدُ ولا تَنْقُصُ عن ذلك![91]

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17).

أي: ويُسقَى الأبرارُ فيها كأسَ خَمْرٍ ممزوجةٍ بزَنجبيلٍ!

---

(91) اختُلف في المراد بقوله: ﴿قوارير من فضة قدروها تقديرا﴾ على قولين: الأول: قَدّروها تقديرًا على قدْر رِيّهم؛ لا تَزيد ولا تنقص عن ذلك.

الثاني: قَدَّروها على قدْر الكفّ.

وعلَّق ابنُ القيم (٣/ ٢٣٦) على القول الأول الذي قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جُبَير، وقتادة، وابن زيد، بقوله: «هذا أبلغ في لذّة الشارب، فلو نَقص عن رِيّه لنَقص التذاذه، ولو زاد حتى يَشمئز منه حصل له ملالةٌ وسآمةٌ من الباقي».

وبنحوه قال ابنُ كثير (١٤/ ٢١٣).

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٢٣٧) أنّ طائفة قالت: الضمير يعود على الشّاربين، أي: قَدَّروا في أنفسهم شيئًا، فجاءهم الأمر بحسب ما قَدّروه وأرادوه، ثم رجَّح القول الأول -مستندًا إلى أنّه الأعمّ- بقوله: «وقول الجمهور أحسن وأبلغ، وهو مستلزم لهذا القول».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٢١٤) أنّ القول الثاني -الذي قاله ابن عباس من طريق عطية العَوفيّ، والربيع، والقُرَظيّ- لا ينافي القول الأول، فإنّها مُقدّرة في القدْر والرّي.

وذكر ابنُ عطية أنّ الضمير في ﴿قدروها﴾ يحتمل ثلاثة احتمالات: الأول: أن يكون الضمير للملائكة.

الثاني: أن يكون للطائفين.

الثالث: أن يكون للمُنعّمين.

ثم علَّق بقوله: «والتقدير إمّا أن يكون على قدْر الأكُفّ.

قاله الربيع.

أو على قدْر الرّيّ.

قاله مجاهد.

وهذا كلّه على قراءة مَن قرأ: (قَدَرُوها) بفتح القاف».

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18).

أي: الزَّنجَبيلُ مِن عَينٍ تُسمَّى سَلْسَبيلًا.[92]

عن ثَوْبانَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سأل حَبرٌ مِن أحبارِ اليَهودِ النَّبيَّ - ﷺ - عن تُحفةِ أهلِ الجَنَّةِ حينَ يَدْخُلونَها؟ قال: زيادةُ كَبِدِ النُّونِ، قال: فما غِذاؤُهم على إِثْرِها؟ قال: يُنحَرُ لهم ثَورُ الجَنَّةِ الَّذي كان يأكُلُ مِن أطرافِها، قال: فما شَرابُهم عليه؟ قال: مِن عَينٍ فيها تُسَمَّى سَلْسَبيلًا. قال: صَدَقْتَ)).[93]

---

(93) رواه مسلم (315).

سورةُ الإنسانِ

الآيات (19–22)

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ
نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22)

تفسير الآيات:

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19).

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ.

أي: ويَدورُ على الأبرارِ في الجنَّةِ بالشَّرابِ أو غَيرِه أولادٌ صِغارٌ على سنٍّ واحِدةٍ، فلا يَهرَمونَ ولا يموتونَ.(94)

(94) ذكر ابنُ جرير (٢٣/ ٥٦٥) أنه ذُكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كَبِر وثبتَ سواد شعره: إنه لَمُخلد.
وكذلك إذا كَبِر وثَبتتْ أضراسه وأسنانه قيل: إنه لَمُخلد.
يراد به أنه ثابت الحال، ثم علَّق بقوله: «وهذا تصـــحيح لما قال قتادة من أنّ معناه: لا يموتون؛ لأنهم إذا ثَبتوا على حال واحدة فلم يَتغيّروا بهرَم ولا شيب ولا موت فهم مُخلّدون».
وذكر ابنُ جرير قولًا بأنّ ﴿مخلدون﴾ معناه: مُقرّطون.
وذكره ابنُ عطية (٨/ ٤٩٦).
ونسبه ابنُ القيم (٣/ ٢٣٧) لابن جُبَير.
وبيّن ابنُ عطية أنّ الخَلَدات: حُلي تُعلّق في الآذان.
وبنحوه قال ابنُ القيم (٣/ ٢٣٧).
ووجّهه ابنُ كثير (١٤/ ٢١٤) بقوله: «ومَن فسّرهم بأنهم مخرّصون في آذانهم الأقرطة.
فإنما عبّر عن المعنى بذلك؛ لأنّ الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير».
وذكر ابنُ القيم أنّ طائفة جمعتْ بين القولين، فقالت: هم ولدان، لا يَعرض لهم الكِبَر والهَرَم، وفي آذانهم القِرطَة.
ثم علَّق بقوله: «فمَن قال: مُقرّطون.
أراد هذا المعنى أنّ كونهم ولدانا أمرٌ لازم لهم».

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا.

أي: إذا رأيتَ أولئك الوِلدانَ ظَنَنْتهم -لحُسْنِهم وبَياضِهم وصَفاءِ لَونِهم، وكَثرتِهم وانتِشارِهم لخِدمةِ الأبرارِ- لُؤلؤًا مُفرَّقًا.

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20).

أي: وإذا نَظَرْتَ هناك في تِلكَ الجنَّةِ أبصَرْتَ نَعيمًا ومُلْكًا عَظيمًا وسُلطانًا باهِرًا أعَدَّه اللهُ تعالى للأبرارِ.

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((إنَّ آخِرَ أهلِ الجنَّةِ دُخولًا الجنَّةَ، وآخِرَ أهلِ النَّارِ خُروجًا مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخرُجُ حَبْوًا،[95] فيقولُ له رَبُّه: ادخُلِ الجنَّةَ. فيقولُ: رَبِّ، الجنَّةُ مَلْأَى. فيقولُ له ذلك ثلاث مرَّاتٍ، فكُلُّ ذلك يُعيدُ عليه: الجنَّةُ مَلْأَى. فيقولُ: إنَّ لك مِثلَ الدُّنيا عَشْرَ مِرارٍ!)).[96]

عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا

(21).

---

(95) حَبْوًا: أي: زَحْفًا.

يُنظر: ((مشارق الأنوار على صحاح الآثار)) للقاضي عياض (1/176).

(96) رواه البخاريُّ (7511) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (186).

عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ.

أي: على أولئك الأبرارِ ثيابٌ مِن حريرٍ رقيقٍ أخضَرِ اللَّونِ، ومِن فَوقِها ثيابٌ مِن حريرٍ غَليظٍ له بَريقٌ ولَمَعانٌ.

وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ.

أي: وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضَّةٍ يَلبَسونَها في أيديهم زِينةً لهم.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((تبلُغُ الحِلْيةُ مِن المؤمِنِ حيثُ يَبلُغُ الوَضوءُ)).(97)

وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا.

أي: وسقَى اللهُ الأبرارَ شَرابًا بالِغَ الطَّهارةِ في نَفْسِه، لا كدَرَ فيه بوَجهٍ مِن الوُجوهِ، مُطَهِّرًا لهم مِن كُلِّ أذًى أو سُوءٍ!

---

(97) الحِليةُ: البياضُ الحاصِلُ للمؤمِنِ يومَ القيامةِ في أعضاءِ الوُضوءِ، أي: يَبلُغُ النُّورُ.
وقيل: المرادُ بـ (الحلية): الزِّينةُ في الجنَّةِ مِن السِّوارِ والخَلْخالِ.
و«الوَضوءُ» بالفتحِ، أي: ماءُ وُضوئِه مِن الأعضاءِ.
يُنظر: ((شرح المصابيح)) لابن الملك (1/234).
رواه مسلم (250).

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22).

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً.

أي: يُقالُ للأبرارِ: إنَّ هذا النَّعيمَ الَّذي أُوتيتُموه في الجنَّةِ هو ثوابٌ لكم على ما عَمِلْتُموه في الدُّنيا مِن خيرٍ.

وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا.

أي: وما عَمِلْتُم مِن خَيرٍ فإنَّ اللهَ يَشكُرُه لكم، فيَتقَبَّلُه منكم ولو كان قليلًا، ويُثيبُكم عليه ثَوابًا عَظيمًا.

سورةُ الإنسانِ

الآيات (23–26)

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26)

غريب الكلمات:

بُكْرَةً: أي: أوَّلَ النَّهارِ، وأصلُ (بكر): يدُلُّ على أوَّلِ الشَّيءِ وبَدئِه.

وَأَصِيلًا: أي: آخِرَ النَّهارِ، وما بيْنَ العَصرِ إلى اللَّيلِ.

تفسير الآيات:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23).

أي: إنَّا نحن نَزَّلْنا عليك -يا محمَّدُ- القُرآنَ تنزيلًا مُفرَّقًا بحَسَبِ الحِكْمةِ.

قال الله تبارك وتعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا [الإسراء: 106].

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24).

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ.

أي: فاصبِرْ لحكَمِ ربِّك القَدَريِّ -ومنه تأخيرُ نَصرِك، وما يَنالُك مِن أذًى- فلا تَسخَطْه، ولحُكمِه الدِّينيِّ مِن القيامِ بما ألْزَمَك القيامَ به في كِتابِه، وتبليغِ رِسالتِه، وتحمُّلِ ما تَلْقاه مِن أذى المُشرِكين في سَبيلِ ذلك.

كما قال الله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ [الأحقاف: 35].

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا.

أي: ولا تُطِعْ فاجِرًا يَدْعوك إلى مَعصيةِ اللهِ، أو كافِرًا باللهِ جَحُودًا لنِعَمِه يدعوك لعبادةِ غَيرِه.

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25).

أي: واذكُرِ اسمَ رَبِّك –يا محمَّدُ– في أوَّلِ النَّهارِ وآخِرِه.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26).

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ.

أي: واسجُدْ للهِ تعالى في صَلاتِك في اللَّيلِ.

وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا.

أي: وسَبِّحِ اللهَ تعالى وَقتًا طَويلًا مِنَ اللَّيلِ.(98)

قال تعالى: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ [الحجر: 97، 98].

وقال سُبحانَه: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ [طه: 130].

---

(98) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٤٩٨) أنّ التَّسبيح في الآية هو الصلاة، وأنه يحتمل أن يريد قول: «سبحان الله»، ثم قال: «وذهب قومٌ مِن أهل العلم إلى أنّ هذه الآية إشارة إلى الصلوات الخمس.

منهم ابن حبيب وغيره.

فالبُكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر، ومن الليل: المغرب والعشاء.

وقال ابن زيد وغيره: كان هذا فرضًا ونُسِخ، فلا فرض إلا الخمس.

وقال قوم: هو مُحكَم على وجه الندب».

وقال عزَّ وجلَّ: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ [الطور: 48، 49].

سورةُ الإنسانِ

الآيات (27–31)

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)

غريب الكلمات:

أَسْرَهُمْ: أي: خَلْقَهم، والأَسْرُ في كلامِ العَرَبِ: شِدَّةُ الخَلْقِ، يُقالُ: فُلانٌ شَديدُ أَسْرِ الخَلْقِ: إذا كان مَعصوبَ الخَلْقِ غيرَ مُستَرخٍ، و: شَدَّ اللهُ أَسْرَه، أي: قَوَّى إحكامَ خَلْقِه. وأصلُ (أسر): يدُلُّ على الرَّبطِ والتَّوثيقِ.

تفسير الآيات:

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27).

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ.

أي: إنَّ مُشْرِكي قُرَيشٍ يُحِبُّونَ الحَياةَ الدُّنيا، فهم حَرِيصونَ على البَقاءِ فيها، والتَّمَتُّعِ بمَلَذَّاتِها.

قال تعالى: كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ [القيامة: 20، 21].

وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا.

أي: ويَترُكونَ خَلْفَ ظُهورِهم يومَ القيامةِ الثَّقيلَ بأهوالِه وشَدائِدِه؛ فلا يَعمَلونَ له، ولا يَسْتَعِدُّونَ له، ولا يَعْبَؤونَ به.

قال الله تعالى: فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ [المدثر: 8 – 10].

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28).

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ.

أي: نحنُ خَلَقْنا أولئك المُشرِكينَ وأحْكَمْنا خِلْقَتَهم، فرَبَطْنا أجزاءَ أجسادِهم بالعِظامِ والأوتارِ والأعصابِ والعُروقِ وغَيرِها؛ فصارت أجزاءُ أبدانِهم مُحكَمةً مَشدودًا بَعضُها إلى بَعضٍ.(99)

وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا.

أي: وإذا شِئْنا بَعَثْناهم يومَ القيامةِ، وأعَدْنا أجسامَهم مِن جَديدٍ مِثْلَما كانوا في الدُّنيا.

قال تعالى: وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ [الواقعة: 60 – 62].

---

(99) اختُلف في المراد بالأَسْر على أقوال: الأول: أنه الخلْق.

الثاني: أنه القوة.

الثالث: أنه المفاصل.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٣/ ٥٧٧) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول الذي قاله ابن عباس، ومجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وقتادة، فقال: «وذلك أنّ الأسْر هو ما ذكرتُ عند العرب، ومنه قول الأخطل:

مِن كلّ مُجْتَنَبٍ شَدِيد أَسْرُه سَلِسِ القِيادِ تَخالُه مُختالا

ومنه قول العامة: خُذه بأسْره، أي: هو لك كلّه».

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٤٩٩ – ٥٠٠) على ما نسبه ابن جرير للعامة، بقوله: «وأصل هذا فيما له شدّ ورِباطٌ كالعظم ونحوه، وليس هذا مما يختص بالعامة، بل هو من فصيح كلام العرب، اللهم إلا أن يريد بالعامة: جمهور العرب».

ثم قال: «ومن اللفظة: الإسار، وهو القِدّ الذي يُشدّ به الأسير».

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29).

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ.

أي: إنَّ آياتِ هذه السُّورةِ تَذكيرٌ للنَّاسِ؛ لِيَتَّعِظوا بها ويَعْتَبِروا.(100)

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا.

أي: فمَن شاء سَلَك طَريقًا يُوصِلُه إلى اللهِ تعالى، وإلى جَنَّتِه ورِضوانِه، بالإيمانِ به، والتَّوبةِ إليه، وطاعتِه.

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30).

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

أي: وما تَشاؤُونَ -أيُّها النَّاسُ- اتِّباعَ طَريقِ الحَقِّ إلَّا أن يَشاءَ اللهُ لكم ذلك؛ فلا أحَدَ يَقدِرُ على هِدايةِ نَفْسِه.

قال تعالى: وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة: 213].

---

(100) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٠٠) أنّ قوله تعالى: ﴿إن هذه تذكرة﴾ يحتمل أن يشير إلى هذه الآية، أو إلى السورة بأسرها، أو إلى الشريعة بجملتها.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا.

أي: إنَّ اللهَ تعالى مُتَّصِفٌ أزَلًا وأبَدًا بالعِلْمِ التَّامِّ، فلا يَخْفى عليه شَيءٌ، ومِن ذلك عِلْمُه بمَن يَستَحِقُّ الهِدايةَ فيُيَسِّرُها له، ومَن يَستَحِقُّ الغَوايةَ فيَصرِفُه عن الهُدى، وهو متَّصِفٌ أزَلًا وأبَدًا بالحِكْمةِ البالِغةِ، فيَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به، ومِن ذلك الهِدايةُ والإضلالُ.

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31).

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ.

أي: يُدخِلُ اللهُ مَن يَشاءُ مِن عِبادِه في رَحمتِه بتَوفيقِه لسُلوكِ طَريقِه المُستَقيمِ الموصِلِ إلى جَنَّتِه.

وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

أي: وأعَدَّ اللهُ تعالى للظَّالِمينَ أنفُسَهم بالشِّركِ وتَرْكِ التَّوبةِ: عَذابًا مُؤلِمًا مُوجِعًا.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المُرسَلاتِ

سورةُ المُرسَلاتِ

سورةُ المُرسَلاتِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المرسَلاتِ).[101] وسمِّيت بـ (الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا).[102]

وممَّا يدُلُّ على ذلك:

1- عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه، قال: ((بَيْنَما نحنُ معَ رسولِ اللهِ - ﷺ - في غارٍ بِمِنًى إذ نزلَت عليه وَالْمُرْسَلَاتِ، وإنَّه لَيَتْلوها، وإنِّي لَأتَلَقَّاها مِن فيهِ، وإنَّ فاهُ لَرَطْبٌ بها...)) الحديثَ.[103]

2- عن أُمِّ الفَضلِ بنتِ الحارثِ رضيَ الله عنها، قالَتْ: ((سمِعْتُ النَّبيَّ - ﷺ - يَقرأُ في المغربِ بـ «الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا»، ثُمَّ ما صلَّى لنا بعدَها حتَّى قَبَضه اللهُ)).[104]

---

(101) سُمِّيَت بذلك؛ لافتِتاحِها بالقَسَمِ الإلهيِّ في قولِه تعالى: وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (495/1).
(102) قال ابن عاشور: (وسُمِّيَتْ في عهدِ الصَّحابةِ سورةَ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا).
((تفسير ابن عاشور)) (417/29).
(103) أي: لم يجِفَّ ريقُه بها، والمعنى: أنَّه لم يُمسِكْ عن التِّلاوةِ لها بعدُ، ورطوبةُ الفَمِ بها حرَكتُه للتِّلاوة.
يُنظر: ((الإفصاح عن معاني الصحاح)) لابن هُبَيْرة (19/2)، ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (303/3).
أخرجه البخاري (1830)، ومسلم (2234).
(104) أخرجه البخاري (4429).

فضائل السورة وخصائصها:

1- أنَّها نزَلتْ جملةً واحدةً.[105]

عن ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه، قال: ((كنَّا معَ النَّبيِّ - ﷺ - في غارٍ، فنزَلتْ عليه وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فأخَذْتُها مِن فيهِ، وإنَّ فاه لَرَطْبٌ بها، فلا أدْري بأيِّها ختم فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ أو وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ)).[106]

2- صلَّى بها النَّبيُّ - ﷺ - في آخِرِ صَلاةٍ صلَّاها بالنَّاسِ إمامًا:

وقد تقدَّم حديثُ أُمِّ الفضلِ بنتِ الحارثِ وسماعِها للنَّبيِّ - ﷺ - يقرأُ بسورةِ (المرسَلاتِ) في صلاةِ المغربِ، وفيه: قالت: ((ثُمَّ ما صلَّى لنا بعدَها حتَّى قَبَضه اللهُ)). والمرادُ -واللهُ أعلَمُ-: ما صلَّى بعدَها إمامًا بالنَّاسِ.

---

(105) ذكرها السيوطيُّ فيما نزَل جمعًا لا مفرَّقًا.

يُنظر: ((الإتقان في علوم القرآن)) (136/1).

(106) أخرجه أحمدُ (3574)، وابنُ حبَّانَ (707)، والحاكمُ (2994).

صحَّحه ابنُ حبَّانَ، وصحَّحه لغيرِه شعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (46/6)، وصحَّح إسنادَه الحاكمُ.

والحديثُ في الصَّحيحَينِ دونَ آخِرِه: (فلا أدري...).

وفي روايةٍ قالت: ((إنَّها أي: سورةَ المرسَلاتِ لَآخِرُ ما سمِعتُ رسولَ اللهِ - ﷺ - يقرأُ بها في المغربِ)).(107)

سورةُ المرسَلاتِ مَكِّيَّةٌ.(108)

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

تخويفُ الكفَّارِ وتحذيرُهم عن الكُفرِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- القَسَمُ على وُقوعِ القيامةِ، وأنَّه آتٍ لا شَكَّ فيه، وذِكرُ بعضِ أهوالِ يومِ القيامةِ.

2- الاستِدلالُ على وُقوعِ البَعثِ، وذِكرُ بعضِ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى: من خَلْقِ الإنسانِ والأرضِ والجبالِ.

3- وعيدُ المكذِّبين، ووصْفُ عذابِهم في الآخِرةِ.

---

(107) أخرجه البخاري (763)، ومسلم (462).

(108) وقيل: إلَّا آيةً منها، وهي قولُه تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ [المرسلات: 48] ؛ فهي مَدَنيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (580/23)، ((تفسير الماوردي)) (175/6)، ((تفسير الزمخشري)) (677/4).

قال ابنُ عطية (٨/ ٥٠١): «هي مكية في قول جمهور المفسرين، وحكى النّقاش أنه قيل: إنّ فيها مِن المدني قوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ [المرسلات: ٤٨] على قول مَن قال: إنها حكاية عن حال المنافقين في القيامة، وإنها بمعنى قوله تعالى: ﴿يدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢]».

وقد نُصَّ على مكيّة سورة المرسلات في تفسير ابن كثير (١٤/ ٢١٩).

4- وصْفُ نعيمِ المتَّقينَ، وحُسنِ عاقبتِهم، وأنواعِ كرامتِهم.

5- التَّعجيبُ مِن أحوالِ الكافِرين، وشِدَّةِ عِنادِهم وتعنُّتِهم.

سورةُ المُرسَلاتِ

الآيات (1–7)

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4)
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7)

غريب الكلمات:

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا: المرادُ بالمُرْسَلاتِ: الرِّياحُ، وقيل: الملائكةُ، وقيل: الأنبياءُ، والعُرْفُ: التَّتابُعُ؛ مِن قَولِ العَرَبِ: تركْتُ النَّاسَ إلى فُلانٍ عُرْفًا واحِدًا: إذا توَجَّهوا إليه فأكثَروا، والعُرْفُ على هذا: اسمٌ أُقيمَ مُقامَ الحالِ؛ لأنَّ المعنى: والرِّياحِ الَّتي أُرسِلَت مُتتابِعةً. وقيل: العُرْفُ: المعروفُ والإِحسانُ. وأصلُ (عرف): يدُلُّ على تتابُعِ الشَّيءِ مُتَّصِلًا بَعْضُه ببعضٍ، ويدُلُّ كذلك على السُّكونِ والطُّمأنينةِ؛ لأنَّ النُّفوسَ تَسكُنُ إلى المعروفِ والإحسانِ.

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا: أي: الرِّياحِ الشَّديدةِ الهُبوبِ، وأصلُ (عصف): يدُلُّ على خِفَّةٍ وسُرعةٍ.

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا: هم الملائِكةُ الَّتي تَنشُرُ أجنحَتها في الجوِّ، وتنشُرُ الشَّرائِعَ في الأرضِ وقيل غير ذلك، وقيل: هي الرِّياحِ الَّتي تَنشُرُ السَّحابَ، وتأتي بالمطَرِ. وأصلُ (نشر): يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وتشَعُّبِه.

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا: أي: الملائِكةِ تأتي بما يَفرُقُ بيْنَ الحَقِّ والباطِلِ، والحَلالِ والحَرامِ، وقيل غيرُ ذلك، وأصلُ (فرق): يدُلُّ على تمييزٍ بيْنَ شَيئَينِ.

تفسير الآيات:

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1).

أي: أُقسِمُ بالرِّياحِ الَّتي تُرسَلُ مُتتابِعةً، فيَتْبَعُ بَعْضُها بَعْضًا، وتَهُبُّ شَيئًا فشَيئًا.(109)

(109) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿والمرسلات عُرْفًا﴾ على أربعة أقوال: الأول: أنها الملائكة تُرسَل مُتتابعة بالمعروف.
وهو قول أبي هريرة، وابن مسعود، ومسروق، وأبي صالح في رواية عنه.
وتأويل الكلام على ذلك: والملائكة التي أُرسلتْ بأمر الله ونهيه، وذلك هو العُرْف.
والثاني: أنهم الرُّسُل يُرسَلون بما يُعرفون به من المعجزات، إفضالًا من الله على عباده ببعثتهم.
وهو قول أبي صالح.
والثالث: أنها الرياح تُرسَل بما عرفها الله تعالى.
وهو قول لابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
والرابع: أنها السحب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أُرسلتْ فيه، ومَن أُرسلتْ إليه.
وذَهَبَ ابنُ جرير (٢٣/ ٥٧٣) إلى العموم، فقال: «الصــواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إنّ الله –تعالى ذِكْره– أقسم بالمرسلات عُرْفًا، وقد تُرسل عُرفًا الملائكة، وتُرسَل كذلك الرياح، ولا دلالة تدل على أنّ المعنيّ بذلك أحد الجنسين دون الآخر، وقد عمّ –جلّ ثناؤه– بإقسامه بكلّ ما كانت صفته ما وصف، فكلّ مَن كان صفته كذلك، فداخلٌ في قسَمه ذلك، ملَكًا أو ريحًا أو رسولًا من بني آدم مرسلًا».
وذَهَبَ ابنُ كثير (١٤/ ٢٢٠) إلى القول الثالث اســتنادًا إلى النظائر، فقال: «الأظهر أنّ المرســلات هي الرياح كما قال تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧]».
وانتقد ابنُ القيم (٣/ ٢٤٣) القول الثاني لمخالفته النظائر، والسـياق، والأفصح لغة، فقال: «الإرســال المُقسم به هاهنا مُقيّد بالعُرف؛ فإما أن يكون ضــد المنكر فهو إرســال رُســله من الملائكة، ولا يَدخل في ذلك إرســال الرياح ولا الصــواعق ولا الشــياطين، وأما إرســال الأنبياء فلو أُريد لقال:» والمرســلين «، وليس بالفصــيح تســمية الأنبياء» مرســلات «، وتكلّف الجماعات المرســلات خلاف المعهود من اســتعمال اللفظ، فلم يُطلق في القرآن جمع ذلك إلا جمع تذكير لا جمع تأنيث، وأيضًا فاقتران اللفظة بما بعدها من الأقسام لا يناسب تفسيرها بالأنبياء، وأيضًا فإنّ الرُّسُل مُقسمٌ عليهم في القرآن لا مُقسمٌ بهم، كقوله: ﴿تاللَّهِ لَقَدْ أرسَلْنا إلى أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ﴾ [النحل: ٦٣]، وقوله: ﴿وإنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وقوله: ﴿يس والقُرْآنِ الحَكِيمِ إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ – ٣]».

كما قال تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ [الحجر: 22].

وقال سُبحانه وتعالى: وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [الأعراف: 57].

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2).

أي: فالرِّياحِ الشَّديدةِ الهُبوبِ.[110]

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٠٢) احتمالين آخرين في معنى: ﴿عُرْفًا﴾ على القول بأنّ ﴿والمرسلات﴾: الرياح: الأول: «أن يكون ﴿عُرْفًا﴾ بمعنى: ﴿والمرسلات﴾ الرياح التي يعرفها الناس ويعهدونها، ثم عقَّب بذكر الصنف المستنكر الضارّ وهي العاصفات».

والثاني: «أن يريد بالعُرف مع الرياح: التتابع كعُرف الفرس ونحوه، وتقول العرب: هبَّ عُرف من ريح».

وعلَّق بقوله: «والقول في العُرف مع أنّ المُرْسَلات هي الرياح يطَّرد على أنّ المُرْسَلاتِ هي السحاب».

(110) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿فالعاصِفاتِ عَصْفًا﴾ على قولين: الأول: أنها الرياح الشديدات الهبوب.

وهو قول الجمهور.

والثاني: أنها الملائكة.

وهو قول آخر لمجاهد.

وذَهَبَ ابنُ جرير (٢٣/ ٥٨٣) إلى القول الأول استنادًا إلى أقوال السلف، فقال: «قوله: ﴿فالعاصفات عصفا﴾ يقول -جلّ ذِكْره-: فالرياح العاصفات عصفًا، يعني: الشديدات الهبوب السريعات المرّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذَهَبَ ابنُ كثير (١٤/ ٢٢٠ بتصرف) إلى القول الأول، فقال: «الأظهر: أنّ العاصفات هي الرياح، يقال: عصفت الرياح: إذا هبَّتْ بتصويت».

ولم يذكر مستندًا.

وقال ابنُ القيم (٣/ ٢٤٣ - ٢٤٤): «إن كان العُرف مِن التتابُع كعُرف الفرس وعُرف الديك والناس إلى فلان عرف واحد، أي: سابقون في قصده والتوجه إليه؛ جاز أن تكون المرسلات الرياح، ويؤيّده عطف العاصفات عليه والنّاشرات، وجاز أن تكون الملائكة، وجاز أن يعمّ النوعين لوقوع الإرسال عُرفًا عليهما، ويؤيّده أنّ الرياح مُوكل بها ملائكة تسوقها وتُصرّفها، ويؤيّد كونها الرياح عطف العاصفات عليها بفاء التعقيب والتسبب فكأنها أُرسِلت فعَصفت، ومَن جعل المرسلات الملائكة قال: هي تعصف في مُضيّها مُسرعة كما تعصف الرياح، والأكثرون على أنها الرياح».

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3).

أي: وأُقسِمُ بالملائكةِ الَّتي تَنشُرُ ما دُبِّرتْ على نشرِه.(111)

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4).

أي: فالملائِكةِ الَّتي تأتي بما يَفرُقُ بيْنَ الحقِّ والباطِلِ.(112)

---

(111) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿والنّاشِراتِ نَشْرًا﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنها الرياح.

والثاني: أنها المطر.

والثالث: أنها الملائكة التي تَنشُر الكتب.

وذَهَبَ ابنُ جرير (٢٣/ ٥٨٧) إلى العموم، فقال: «أولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكْره- أقسم بالنّاشِرات نشرًا، ولم يخْصُص شيئًا من ذلك دون شيء، فالرياح تَنشُر السحاب، والمطر يَنشُر الأرض، والملائكة تَنشُر الكتب، ولا دلالة مِن وجهٍ يجب التسليم له على أنّ المراد مِن ذلك بعضٌ دون بعضٍ، فذلك على كلِّ ما كان ناشرًا».

وذَهَبَ ابنُ كثير (١٤/ ٢٢٠ بتصرف) إلى القول الأول «وهو قول ابن مسعود، والحسن، وقتادة»، فقال: «الأظهر أنّ... النّاشِرات: هي الرياح التي تَنشُر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب - عز وجل -».

ولم يذكر مستندًا.

وقال ابنُ القيم (٣/ ٢٤٤)، فقال: «ويدل على صحة قولهم قوله تعالى: «وهُوَ الَّذِي يَرْسُلُ الرِّياحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» [الأعراف: ٥٧]، يعني: أنها تَنشُر السحاب نشرًا، وهو: ضد الطي».

ثم قال: «قلت: ويجوز أن تكون النّاشِرات لازمًا لا مفعول له، ولا يكون المراد أنهنّ نشَرن كذا؛ فإنه يقال: نشَر الميت حي، وأنشَره الله إذا أحياه، فيكون المراد بها: الأنفس التي حَيِيتْ بالعُرف الذي أُرسِلتْ به المرسلات، أو الأشباح والأرواح والبقاع التي حَيِيتْ بالرياح المرسلات؛ فإنّ الرياح سبب لنشور الأبدان والنبات، والوحي سبب لنشور الأرواح وحياتها».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٥٠٢، ٥٠٣) في معنى الآية أقوالًا أخرى، ووجّه بعضها، فقال: «وقال بعض المتأولين: النّاشِرات: طوائف الملائكة التي تُباشر إخراج الموتى من قبورهم للبعْث، فكأنهم يحيونهم.

وقال قوم: النّاشِرات: الرمم في بعث يوم القيامة، يقال: نشَر الميت، ومنه قول الأعشى:

يا عجبًا للمَيّتِ النّاشر

وقيل: النّاشِرات: البقاع التي تحيا بالأمطار، شُبّهتْ بالميت يُنشر».

(112) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿فالفارِقاتِ فَرْقًا﴾ على أربعة أقوال: الأول: أنها الملائكة التي تُفرّق بين الحق والباطل.

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5).

والثاني: أنها الرُّسُل الذين يُفرّقون بين الحلال والحرام.

والثالث: أنها الرياح.

والرابع: أنّ المقصود: القرآن.

وذَهَبَ ابنُ جرير (٢٣/ ٥٨٨) إلى العموم، فقال: «الصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربُّنا -جلّ ثناؤه- بالفارقات، وهي الفاصِلات بين الحق والباطل، ولم يَخْصُص بذلك منهنّ بعضًا دون بعض، فذلك قَسَمٌ بكل فارقةٍ بين الحق والباطل؛ مَلكًا كان أو قرآنًا أو غير ذلك».

وذَهَبَ ابنُ كثير (١٤/ ٢٢١) إلى القول الأول، فقال: «قوله تعالى: ﴿فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا﴾، يعني: الملائكة.

قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسُّدِّيّ، والثوري، ولا خلاف هاهنا؛ فإنها تَنزل بأمر الله على الرُّسُل تُفرّق بين الحق والباطل، والهُدى والغي، والحلال والحرام، وتُلقي إلى الرسل وحيًا فيه إعذار إلى الخَلْق، وإنذار لهم عقاب الله إنْ خالفوا أمره».

ولم يذكر مستندًا.

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٢٤٥) أنّ أكثر المفسرين على أنها الملائكة؛ ويدل عليه عطف المُلْقيات ذكرًا عليها بالفاء، وهي الملائكة بالاتفاق، وعلى هذا فيكون القَسم بالملائكة التي تَنشُر أجنحتها عند النزول، ففَرّقتْ بين الحق والباطل، فألْقَت الذِّكر على الرسل إعذارًا وإنذارًا.

ثم انتقد القول الثالث لدلالة السياق، فقال: «ومَن جعل النّاشِرات الرياح جعل الفارقات صفة لها، وقال: هي تُفرّق السحاب ههنا وههنا، ولكن يأبى ذلك عطف المُلْقِيات بالفاء عليها».

وعلق على القول الثاني بقوله: «ومَن قال: هي جماعات الرُّسُل، فإنْ أراد الرُّسُل من الملائكة فظاهر، وإنْ أراد الرُّسُل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول».

وعلق على القول الرابع بقوله: «مَن قال: الفارقات: أي: القرآن يُفرّق بين الحق والباطل، فقوله يلتئم مع كون النّاشِرات الملائكة أكثر من التئامه إذا قيل: إنها الرياح».

وقال ابنُ القيم (٣/ ٢٤٥): «ويظهر -والله أعلم بما أراد من كلامه- أنّ القَسم في هذه الآية وقع على النوعين؛ الرياح والملائكة، ووجه المناسبة: أنّ حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان بالرياح فإنها من روح الله، وقد جعلها الله تعالى نشورًا، وحياة القلوب والأرواح بالملائكة، فبهَذيْن النوعين يحصل نوعا الحياة، ولهذا -والله أعلم- فَصل أحد النوعين من الآخر بالواو، وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء».

أي: فالملائِكةِ الَّتي تُبَلِّغُ رُسُلَ اللهِ وَحْيَه المُذَكِّرَ بالحَقِّ لعِبادِه.[113]

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6).

أي: وذلك الوَحيُ إقامةٌ للحُجَّةِ مِنَ اللهِ على خَلْقِه، وتحذيرٌ لهم مِن عَذابِه.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7).

أي: إنَّ الَّذي تُوعَدونَ به مِنَ البَعثِ يومَ القيامةِ والحِسابِ والجَزاءِ: لَكائِنٌ لا شَكَّ في ذلك.

كما قال تعالى حِكايةً عن الرَّاسِخينَ في العِلمِ: رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ [آل عمران: 9].

وقال سُبحانَه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ [فاطر: 5].

---

(113) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿فالمُلْقِياتِ ذِكْرًا﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنها الملائكة.
والثاني: أنه جبريل خاصّة.
والثالث: أنها الرُّسُل.
وذَهَبَ ابنُ جرير (٢٣/ ٥٨٨) إلى الأول -وهو قول الجمهور- استنادًا إلى أقوال السلف، فقال: «قوله: ﴿فالملقيات ذكرا﴾ يقول: فالمُبلِّغات وحي الله رسله، وهي الملائكة.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».
وذَهَبَ إلى ذلك أيضًا ابنُ كثير (١٤/ ٢٢١).

سورةُ المُرسَلاتِ

الآيات (8-15)

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)

غريب الكلمات:

طُمِسَتْ: أي: مُحِيَ نُورُها، والطَّمْسُ: إزالةُ الأثَرِ بالمَحْوِ، وأصلُ (طمس): يدُلُّ على مَحوِ الشَّيءِ ومَسْحِه.

نُسِفَتْ: أي: قُلِعَتْ وأُزِيلَتْ، وأصلُ (نسف): يدُلُّ على كَشْفِ شَيءٍ.

أُقِّتَتْ: أي: جُمِعَتْ لِمِيقاتِ يومٍ مَعلومٍ. أو: جُعِلَ لها وَقتٌ مُنتَظَرٌ فجاء وحانَ، وأصلُ (وقت): يدُلُّ على حَدِّ شَيءٍ في زَمانٍ وغَيرِه.

وَيْلٌ: أي: عَذابٌ وهَلاكٌ. وقيلَ: وَيلٌ: وادٍ في جهنَّمَ.

تفسير الآيات:

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8).

أي: فإذا ذَهَب ضَوءُ النُّجومِ.

وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9).

أي: وإذا فُتِحَت السَّماءُ وانشَقَّت.

قال تعالى: وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ [الحاقة: 16].

وقال سُبحانَه: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا [النبأ: 19].

وقال تبارك وتعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ [الانفطار: 1].

وقال عزَّ وجلَّ: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ [الانشقاق: 1].

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10).

أي: وإذا قُلِعَت الجِبالُ، وتفَتَّتَتْ فصارَتْ هَباءً.

قال تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105 – 107].

وقال سُبحانَه: وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا [الواقعة: 5، 6].

وقال عزَّ وجلَّ: وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا [المزمل: 14].

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11).

أي: وإذا جُمِعَ رُسُلُ اللهِ فِي الوَقتِ الَّذي حُدِّدَ لذلك.

كما قال تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ [المائدة: 109].

لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12).

أي: لأيِّ يومٍ أُخِّرت الرُّسلُ ، وضُرِب لهم الأجلُ لجمعِهم؟

لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13).

أي: لِيَومٍ يَفصِلُ فيه اللهُ تعالى بيْنَ عِبادِه، فيَحكُمُ بيْنَهم، ويُحاسِبُهم، ويُجازي كُلًّا بما يَستَحِقُّ.

قال تعالى: هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ [المرسلات: 38].

ثمَّ قال تعالى مُعَظِّمًا شَأنَ ذلك اليَومِ، ومُهَوِّلًا أمْرَه:

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14).

أي: وأيُّ شَيءٍ أعلَمَك –يا مُحمَّدُ– ما يومُ الفَصْلِ؟

قال الله سبحانه وتعالى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ [الانفطار: 17، 18].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

قال تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ [الذاريات: 60].

سورةُ المُرسَلاتِ

الآيات (16–24)

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24)

غريب الكلمات:

مَهِينٍ: أي: ضَعيفٍ، مُمتَهَنٍ، لا خَطَرَ له عندَ النَّاسِ، ولا يُعبأُ به، وأصلُ (مهن): يدُلُّ على احتِقارٍ وحَقارةٍ في الشَّيءِ.

قَرَارٍ مَكِينٍ: أي: الرَّحِمِ، اسْتَقرَّ المنيُّ فيه فتَمَكَّنَ، والقرارُ هنا: مكانُ الاستِقرارِ، والمكينُ: المتمكِّنُ، وأصلُ (قرر) هنا: يدُلُّ على تمكُّنٍ.

تفسير الآيات:

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16).

أي: ألَمْ نُهْلِكِ المُكَذِّبينَ بآياتي ورُسُلي مِنَ الأُمَمِ الماضيةِ، كقَومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمودَ وغَيرِهم؟

ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17).

أي: ثمَّ نُلحِقُ بهم في العَذابِ والهَلاكِ كُفَّارَ قُرَيشٍ وغَيرَهم مِنَ الكُفَّارِ المُكَذِّبينَ بالحَقِّ، فنُهلِكُهم جميعًا كما أهلَكْنا مَن قَبْلَهم.

كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18).

أي: كما أهلَكْنا المُكَذِّبينَ بي وبرُسُلي مِن الأُمَمِ الكافِرةِ، نُهْلِكُ أيضًا كُلَّ كافِرٍ مُكَذِّبٍ.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20).

أي: ألَمْ نُوجِدْكم -أيُّها النَّاسُ- مِن مَنِيٍّ ضَعيفٍ.

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21).

أي: فجَعَلْنا مَنِيَّ الرَّجُلِ في رَحِمِ المرأةِ مُستَقِرًّا ومحفوظًا فيه.

إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22).

أي: إلى وَقتِ الوِلادةِ.

قال تعالى: وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا [الحج: 5].

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23).

أي: فقَدَرْنا على خَلْقِ النُّطفةِ إنسانًا وتصويرِه، فنِعْمَ القادِرونَ نحنُ حيثُ خلَقْناه في أحسَنِ صورةٍ وهَيئةٍ.(114)

---

(114) ممن اختار أنَّ قولَه: فَقَدَرْنَا مِن القُدرةِ: الثعلبي، والبغوي، والخازن، والسمين الحلبي، وجلال الدين المحلي، والعليمي.

يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (10/109)، ((تفسير البغوي)) (5/197)، ((تفسير الخازن)) (4/383)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (10/635)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 785)، ((تفسير العليمي)) (7/249).

قال القرطبي: (رُوِي عن عِكْرِمةَ فَقَدَرْنَا مُخَفَّفةً مِن القُدرةِ، وهو اختيارُ أبي عُبَيدٍ وأبي حاتِمٍ والكِسائيِّ لقولِه: فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ).

((تفسير القرطبي)) (19/160).

قال الخازن: (قُرِئ بالتخفيفِ مِن القُدرةِ، أي: قَدَرْنا على خلقِه، وتصويرِه كيفَ شِئْنا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ حيثُ خَلَقْناه في أحسنِ صورةٍ وهيئةٍ).

((تفسير الخازن)) (4/383).

وقال البقاعي: (فَقَدَرْنَا أي بعظمتِنا على ذلك، أو فجَعَلْناه على مقدارٍ معلومٍ مِن الأرزاقِ والآجالِ والأحوالِ والأعمالِ فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ نحنُ مطلقًا على ذلك وغيرِه، أو المقدِّرونَ في تلك المقاديرِ لما لنا مِن كمالِ العظمةِ بحيثُ نجعلُ ذلك بمباشرةِ مَن أردناه منه بطوعِه واختيارِه).

((نظم الدرر)) (21/173).

ومِمن اختار أنَّ قولَه: فَقَدَرْنَا بمعنى قدَّرْنا بالتَّشديدِ: ابنُ قتيبةَ، والزمخشري، والنسفي، والألوسي، والسعدي، وابنُ عاشور.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 12 – 14].

وقال سُبحانَه وتعالى: الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار: 7، 8].

يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 506)، ((تفسير الزمخشري)) (679/4)، ((تفسير النسفي)) (586/3)، ((تفسير الألوسي)) (193/15)، ((تفسير السعدي)) (ص: 904)، ((تفسير ابن عاشور)) (431/29).

قال ابن قتيبة: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ بمعنى «قدَّرْنا» مشدَّدةً.

يقال: قدَرْتُ كذا وقدَّرْتُه).

((غريب القرآن)) (ص: 506).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (223/3).

وذكر الزمخشري أنَّ هذا القولَ أولى: (لقراءةِ مَن قرَأ: فَقَدَّرْنَا بالتَّشديدِ، ولقولِه: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ [عبس: 19]).

((تفسير الزمخشري)) (679/4).

وقال السعدي: (فَقَدَرْنَا أي: قَدَّرْنا ودبَّرْنا ذلك الجنينَ في تلك الظُّلماتِ، ونَقَلْناه مِن النُّطفةِ إلى العَلقةِ، إلى المضغةِ، إلى أنْ جعَله اللهُ جسدًا، ثمَّ نفخَ فيه الرُّوحَ، ومِنهم مَن يموتُ قبلَ ذلك).

((تفسير السعدي)) (ص: 904).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: فَقَدَّرْنَا بتَشديدِ الدَّالِ، مِنَ التَّقديرِ، أي: خلَقْنا كُلَّ شَيءٍ مِن الإنسانِ بقَدْرٍ. وقيل: أي: قدَّرْنا خَلْقَ الإنسانِ على تاراتٍ مُختَلِفةٍ؛ مِن نُطْفةٍ وعَلَقةٍ ومُضْغةٍ، وما بعدَ ذلك إلى أنْ جعَلْناه إنسانًا سَوِيًّا. وقيل: قدَّرْناه شَقِيًّا وسعيدًا، وصغيرًا وكبيرًا، وأسْوَدَ وأبيَضَ، وغيرَ ذلك.(115)

2- قِراءةُ: فَقَدَرْنَا بتَخفيفِ الدَّالِ، مِنَ القُدرةِ. وقيل: القِراءتانِ لُغَتانِ بمَعنى التَّقديرِ لا القُدْرةِ.(116)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبين بالحَقِّ.

---

(115) قرأ بها نافِعٌ، والكِسائيُّ، وأبو جَعفرٍ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/397).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير الماتريدي)) (10/380)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (5/ 79)، ((تفسير السمعاني)) (6/129)، ((تفسير البغوي)) (5/197)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (10/635).

(116) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/397).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 506)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/72)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (6/365)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (5/79)، ((تفسير البغوي)) (5/197).

سورةُ المُرسَلاتِ

الآيات (25–28)

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (26) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ
مَاءً فُرَاتًا (27) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28)

غريب الكلمات:

كِفَاتًا: الكِفَاتُ: السِّتْرُ، والوِعاءُ الجامِعُ للشَّيءِ، يُقالُ: كَفَتَ الشَّيءَ: إذا ضَمَّه وجَمَعَه، والكَفْتُ: الضَّمُّ والجَمْعُ، فالأرضُ تَكفِتُ -تحفَظُ وتَستُرُ وتَضُمُّ- الأحياءَ على ظَهْرِها، وتَكفِتُ الأمواتَ في بَطْنِها، وأصلُ (كفت): يدُلُّ على جَمعٍ وضَمٍّ.

رَوَاسِيَ: أي: جِبالًا ثَوابِتَ، وأصلُ (رسو): يدُلُّ على ثَباتٍ.

شَامِخَاتٍ: أي: عالياتٍ مُرتَفِعاتٍ، وكُلُّ عالٍ فهو شامِخٌ، وأصلُ (شمخ): يدُلُّ على تعَظُّمٍ وارتِفاعٍ.

فُرَاتًا: الفُراتُ: الماءُ الشَّديدُ العُذوبةِ.

تفسير الآيات:

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25).

أي: أَلَمْ نَجْعَلِ الأرضَ وِعاءً يَضُمُّ ويَجمَعُ جَميعَ الخَلْقِ؟(117)

أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (26).

أي: تَجمَعُ وتَضُمُّ الأحياءَ على ظَهْرِها، والأمواتَ في بَطْنِها.

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (27).

---

(117) قال ابنُ جرير (٢٣/ ٥٩٦) مبيّنًا معنى الآية استنادًا إلى أقوال السلف: «يقول -تعالى ذِكْره- مُنبِّهًا عباده على نِعَمه عليهم: ﴿ألم نجعل﴾ أيها الناس ﴿الأرض﴾ لكم ﴿كفاتا﴾ يقول: وعاء، يُقال: هذا كِفْتُ هذا وكَفِيتُه: إذا كان وعاءه.
وإنما معنى الكلام: ألم نجعل الأرض كِفات أحيائكم وأمواتكم، تَكْفِتُ أحياءكم في المساكن والمنازل، فتضمّهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بطنها في القبور، فيُدفنون فيها».
وذكر احتمالًا آخر، فقال: «وجائز أن يكون عُنِي بقوله: ﴿كفاتا أحياء وأمواتا﴾ تَكْفِتُ أذاهم في حال حياتهم، وجِيَفَهم بعد مماتهم».
وذكر ابنُ عطية (٨/ ٥٠٦) نحو قول ابن جرير في معنى ﴿كِفاتًا﴾، ثم قال: «و﴿أحياء﴾ -على هذا التأويل- معمول لقوله سبحانه: ﴿كِفاتًا﴾ لأنه مصدر».
ونقل عن بعض المتأولين: أنّ «﴿أحْياءً وأَمْواتًا﴾ إنما هو بمعنى أنّ الأرض فيها أقطارٌ أحياءٌ وأقطارٌ أموات».
ووجَّهه بقوله: «يراد: ما يُنبت وما لا يُنبت، فنصب ﴿أحْياءً﴾ -على هذا- إنما هو على الحال من الأرض».
ثم رجّح قائلًا: «والتأويل الأول أقوى».
ولم يذكر مستندًا.

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ.

أي: وجَعَلْنا في الأرضِ جِبالًا ثَوابِتَ عَظيمةَ الارتِفاعِ.

كما قال تعالى: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ [النحل: 15].

وقال سُبحانَه: وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ [النازعات: 32، 33].

وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا.

أي: وأسْقَيْناكم ماءً عَذْبًا سائِغًا.

قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا [الفرقان: 48، 49].

وقال سُبحانَه: أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ [الواقعة: 68 – 70].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

سورةُ المُرسَلاتِ

الآيات (29–34)

انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ
وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (33) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)

غريب الكلمات:

ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ: يعني: دُخانَ جهنَّمَ إذا ارتَفع انشَعَب وافتَرَق ثلاثَ فِرَقٍ، والتَّشعُّبُ: تفرُّقُ الجِسْمِ الواحِدِ فِرَقًا، وأصلُ (شعب): يدُلُّ على الافتِراقِ.

لَا ظَلِيلٍ: أي: لا يُظِلُّ مِن الحرِّ، ولا يُفيدُ فائدةَ الظِّلِّ، وأصلُ (ظلل): يَدُلُّ عَلَى سَتْرِ شيءٍ لشَيءٍ، وهو الَّذي يُسَمَّى الظِّلَّ.

اللَّهَبِ: أي: لَهَبِ النَّارِ، واللَّهَبُ ما يَعلو على النَّارِ إذا اضْطَرَمَتْ مِن أحْمَرَ وأصْفَرَ وأخْضَرَ، واللَّهَبُ: اضْطِرامُ النَّارِ، ويُقالُ للدُّخَانِ وللغُبارِ، وأصلُ (لهب): ارْتِفاعُ لِسانِ النَّارِ، ثُمَّ يُقاسُ عليه ما يُقارِبُه. تقولُ: الْتَهَبَتِ النَّارُ الْتِهابًا. وكلُّ شَيءٍ ارتَفَع ضَوْؤُه، ولَمَع لَمَعانًا شَديدًا فإنَّه يُقالُ فيه ذلك.

كَالْقَصْرِ: أي: كالدُّورِ الكِبارِ المُشَيَّدةِ، والحُصونِ والمدائِنِ في العِظَمِ، وهو واحِدُ القُصورِ. وقيل: القَصْرُ: أُصُولُ النَّخْلِ والشَّجَرِ العِظَامِ، جَمعُ قَصْرةٍ، مِثلُ جَمْرةٍ وجَمْرٍ، وتَمْرةٍ وتَمْرٍ. والقَصْرةُ: الواحِدةُ مِن الحطَبِ الغَليظِ.

جِمَالَةٌ: الجِمالةُ: جَمْعُ الجَمَلِ المعروفِ، مِثلُ: حَجَرٍ وحِجارةٍ. وقيل: هي حِبالُ السُّفُنِ يُجمَعُ بَعضُها إلى بَعضٍ، حتَّى تكونَ كأوساطِ الرِّجالِ، وأصلُ (جمل): يدُلُّ على تجَمُّعٍ وعِظَمِ الخَلْقِ.

صُفْرٌ: أي: سُودٌ، جمعُ أصفَرَ، يُقالُ: جمَلٌ أصفَرُ، أي: أسْوَدُ، والصُّفْرَةُ: لَونٌ مِن الألوانِ الَّتي بيْن السَّوادِ والبَياضِ، وهي إلى السَّوادِ أقرَبُ، وقد سُمِّيَتْ صُفْرًا؛ لأنَّ سَوادَها يَضرِبُ إلى الصُّفرةِ، وأصل (صفر) هنا: لَوْنٌ مِن الألوانِ.

تفسير الآيات:

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29).

أي: يُقالُ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ: سِيروا إلى النَّارِ الَّتي كُنتُم تُكَذِّبونَ بها في الدُّنيا.

انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30).

أي: سِيروا إلى ظِلٍّ مِن دُخانٍ يرتَفِعُ مِنَ النَّارِ ويتصاعَدُ حتَّى يتشَعَّبَ إلى ثلاثِ شُعَبٍ عَظيمةٍ.

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31).

أي: لا يُظِلُّ المُكَذِّبينَ مِن حَرِّها، ولا يَقِيهم مِن لَهَبِها.

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32).

أي: إنَّ النَّارَ مِن شِدَّةِ استِعارِها وتَلَهُّبِها تَرْمي بشَرَرٍ عَظيمٍ يَتطايَرُ منها، كأنَّه قُصورٌ عاليةٌ!

كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ (33).

أي: كأنَّ الشَّرَرَ الَّذي يَتطايَرُ مِن جَهَنَّمَ جِمالٌ سُودٌ.[118]

---

(118) اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿جمالات صفر﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنّها الجِمال الصُّفْر، وأراد بالصُّفْر: السُّود، سُمّيت «صُفْرًا» لأنّ سَوادها يَضرب إلى الصُّفرة.

وهو قول الحسن، ومجاهد، وقتادة.

والثاني: أنها قُلُوس السُّفن، والقُلُوس: جمْع قَلْس، وهو حَبل ضخم من لِيف.

وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جُبَير.

والثالث: أنها قِطَع النّحاس.

وهو قولٌ آخر لابن عباس.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٥٠٩) على القول الثالث بقوله: «وكان اشتقاق هذه اللفظة من اسم الجملة».

ورجَّحَ ابنُ جرير (٢٣/ ٦٠٨) القولَ الأولَ استنادًا إلى لغة العرب، فقال: «أولى الأقوال عندي بالصواب قول مَن قال: عُني بالجمالات الصُّفر: الإبل السُّود؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأنّ الجِمالات جمع جِمال، نظير: رجال، ورجالات، وبيوت، وبيوتات».

ونقل ابنُ عطية عن جمهور الناس أنّ «الصُّفْر: الفاقعة؛ لأنها أشبه بلون الشَّرَر».

يُنظر: ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قتيبة (ص: 194)، ((تفسير ابن جرير)) (605/23 – 608)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (268/5)، ((تفسير القرطبي)) (164/19)، ((تفسير ابن كثير)) (299/8)، ((تفسير السعدي)) (ص: 905)، ((تفسير ابن عاشور)) (437/29).

وممَّن اختار القولَ المذكورَ -أنَّ المرادَ: جِمالٌ سُودٌ-: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والفرَّاءُ، وأبو عُبَيْدَةَ، وابنُ جرير، والزَّجَّاجُ، والسمرقندي، ومكِّي، والواحدي، والقرطبي، والنسفي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (546/4)، ((معاني القرآن)) للفراء (225/3)، ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (44/1)، ((تفسير ابن جرير)) (608/23)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (268/5)، ((تفسير السمرقندي)) (534/3)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (7971/12)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 1163)، ((تفسير القرطبي)) (164/19)، ((تفسير النسفي)) (587/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 905).

قال الواحدي: (الصُّفْرُ: معناها: السُّودُ، في قولِ المفَسِّرينَ.

قال الفَرَّاء: الصُّفْرُ: سُودُ الإبِلِ، لا ترى أسْوَدَ مِنَ الإبِلِ إلَّا وهو مُشرَبٌ صُفرةً؛ لذلك سَمَّتِ العَرَبُ سُودَ الإبِلِ صُفْرًا).

((الوسيط)) (409/4).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (225/3).

وقال الشوكاني: (إذا كانت العَرَبُ تُسَمِّي الأسْوَدَ أصفَرَ لم يَبْقَ إشكالٌ؛ لأنَّ القُرآنَ نَزَل بلُغَتِهم، وقد نَقَل الثِّقاتُ عنهم ذلك، فكان ما في القُرآنِ هنا وارِدًا على هذا الاستِعمالِ العَرَبيِّ).

((تفسير الشوكاني)) (434/5).

وقال الرَّسْعَني: (وهذا قولُ الحسَنِ، ومجاهِدٍ، وقتادةَ، وعامَّةِ المفسِّرينَ).

((تفسير الرسعني)) (439/8).

وقال الرازي: (الأكثَرونَ على أنَّ المرادَ منه: سُودٌ تَضرِبُ إلى الصُّفرة).

((تفسير الرازي)) (775/30).

وقال الشنقيطي: (العربُ لا تُطلِقُ الصُّفرةَ وتُرِيدُ السَّوادَ إلَّا في الإبِلِ خاصَّةً دونَ غيرِها...

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: جِمَالَةٌ جَمعُ جَمَلٍ، يعني: أنَّ الشَّرَرَ كالجِمالِ الصُّفْرِ.[119]

والمرادُ بـ «الصُّفْرِ»...

«السُّودِ»؛ لأنَّ شرَرَ نارِ الآخرةِ أَسْوَدُ، والعربُ إنَّما تُطلِقُ الصُّفرةَ على السَّوادِ في الإبِلِ خاصَّةً دونَ غيرِها مِن سائرِ الحيواناتِ).

((العذب النمير)) (129/1).

وممَّن اختار أنَّ الصُّفرةَ على ظاهِرِها: الثعلبيُّ، والبغوي، والبيضاوي، والخازن، والبِقاعي، والعُلَيمي، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (111/10)، ((تفسير البغوي)) (198/5)، ((تفسير البيضاوي)) (276/5)، ((تفسير الخازن)) (384/4)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (179/21)، ((تفسير العليمي)) (252/7)، ((تفسير ابن عاشور)) (437/29).

قال البِقاعي: (صُفْرٌ جَمعُ أصفَرَ، لِلَّوْنِ المعروفِ.

وقيل: المرادُ به سَوادٌ يَضرِبُ إلى صُفرةٍ كما هي ألوانُ الجِمالِ).

((نظم الدرر)) (179/21).

وقال ابن عاشور: (والصُّفْرةُ: لَونُ الشَّرَرِ إذا ابْتَعَد عن لَهيبِ نارِه).

((تفسير ابن عاشور)) (29/ 437).

وقال ابن جُزَي: (وصُفْرٌ على ظاهِرِه؛ لأنَّ لَونَ النَّارِ يَضرِبُ إلى الصُّفرةِ.

وقيل: صُفْرٌ هنا بمعنى سُودٍ، يُقالُ: جَمَلٌ أصفَرُ، أي: أسْوَدُ.

وهذا أليَقُ بوَصفِ جهنَّمَ).

((تفسير ابن جزي)) (443/2).

وقال ابن كثير: (كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ أي: كالإبِلِ السُّودِ.

قاله مجاهِدٌ، والحسَنُ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ.

واختاره ابنُ جريرٍ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ، ومجاهِدٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ: جِمَالَةٌ صُفْرٌ يعني: حِبالَ السُّفنِ.

وعنه -أعني: ابنَ عبَّاسٍ-: كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ قِطَعُ نُحاسٍ).

((تفسير ابن كثير)) (299/8).

(119) قَرَأ بها حمزةُ، والكِسائيُّ، وخلَفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (397/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (608/23)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 360).

2- قِراءةُ: جُمَالَاتٌ قيل: جَمعُ جُمالةٍ، مِنَ الشَّيءِ المُجمَلِ، وقيل: هو الحَبلُ الغَليظُ كحِبالِ السُّفُنِ والجُسورِ. وقيل: هذه القراءةُ والَّتي تليها بمعنًى واحدٍ، وهي الجِمالُ.(120)

3- قراءة: جِمَالَاتٌ جمعُ جِمالةٍ، أو جِمالٍ، فيَكونُ جَمْعَ الجَمعِ، وهو بمعنَى القِراءةِ الأُولى، أي: أنَّ الشَّرَرَ كالجِمالِ الصُّفْرِ.(121)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

سورة المُرسَلاتِ

(120) قرأ بها رُوَيسٌ عن يعقوبَ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (397/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (609/23)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (268/5)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (75/11)، ((المحتسب)) لابن جني (347/2).

(121) قرأ بها الباقونَ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (397/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (608/23)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (268/5)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 360).

الآيات (35-40)

هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37)
هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ (40)

تفسير الآيات:

هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (35).

أي: في ذلك الوَقتِ والموقِفِ مِن يومِ القيامةِ لا يَتكَلَّمُ المكَذِّبونَ.

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36).

أي: ولا يُؤذَنُ لهم؛ لِيَعتَذِروا مِن ذُنوبِهم.

قال تعالى: ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ [النحل: 84].

وقال سُبحانَه: فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ [الروم: 57].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38).

أي: هذا اليَومُ هو اليَومُ الَّذي يَحكُمُ اللهُ تعالى فيه بالعَدْلِ بيْنَ عِبادِه، جَمَعْناكم فيه -أيُّها المكَذِّبونَ- مع كُفَّارِ الأُمَمِ الماضيةِ مِنْ قَبْلِكم.

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة: 49، 50].

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39).

أي: فإنْ كان لكم حِيلةٌ تتخَلَّصونَ بها مِن عَذابِ النَّارِ، فافعَلوا؛ فلا مَفرَّ لكم مِن عَذابي.

كما قال الله تبارك وتعالى: إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [الأنعام: 134].

وقال سُبحانَه: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ [الرحمن: 33 – 35].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

سورةُ المُرسَلاتِ

الآيات (41–45)

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45)

تفسير الآيات:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41).

أي: إنَّ الَّذين اتَّقَوا سَخطَ اللهِ وعَذابَه بامتِثالِ أمْرِه واجتِنابِ نَهْيِه: يتنَعَّمونَ في ظِلالِ الجنَّةِ، فلا حَرَّ ولا بَرْدَ فيها يُؤذِيهم، ولهم فيها عُيونٌ جاريةٌ.

كما قال تعالى: وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا [النساء: 57].

وقال سُبحانَه: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا [الرعد: 35].

وقال عزَّ وجلَّ: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ [يس: 55، 56].

وقال تبارك وتعالى: وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا [الإنسان: 14].

وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42).

أي: ولهم في الجنَّةِ فَواكِهُ ممَّا تَشتَهيه أنفُسُهم.

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43).

أي: يُقالُ لأهلِ الجنَّةِ إكرامًا لهم: كُلُوا مِن فَواكِهِ الجنَّةِ واشرَبوا مِن عُيُونِها بلا أذًى ولا تنغيصٍ فيما تأكُلونَ وتَشرَبونَ، وذلك جزاءٌ لكم بسَبَبِ ما كُنتُم تعمَلونَه في الدُّنيا مِن الأعمالِ الصَّالِحةِ.

قال تعالى: وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الزخرف: 72].

وقال سُبحانَه: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة: 24].

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44).

أي: وذلك جَزاؤُنا لِكُلِّ مَن أحسَنَ العَمَلَ في الدُّنيا.

قال تعالى: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف: 56].

وقال سُبحانَه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا [الكهف: 30].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقّ.

سورةُ المُرسَلاتِ

الآيات (46-50)

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)

تفسير الآيات:

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46).

أي: يُقالُ للمُكَذِّبينَ بالبَعْثِ: كُلُوا وتمتَّعوا في الدُّنيا قليلًا إلى آخِرِ أعمارِكم؛ إنَّكم مُجرِمونَ بكُفْرِكم باللهِ، وتَكذيبِكم رُسُلَه، فمَصيرُ تلك اللَّذَّاتِ الانقِطاعُ، ومَصيرُكم إلى عذابِ اللهِ.(122)

قال تعالى: قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ [إبراهيم: 30].

وقال الله سُبحانَه: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر: 3].

وقال عزَّ وجلَّ: نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ [لقمان: 24].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

---

(122) قال ابنُ عطية (٨/ ٥١٠): «قوله تعالى: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ مخاطبة لقريش، على معنى: قل لهم، يا محمد. وهذه صيغة أمر معناها التهديد والوعيد، وقد بيّن ذلك قوله: ﴿قليلا﴾، ثم بيّن تعالى لهم الإجرام الموجب لتعذيبهم. وقال مَن جعل السـورة كلّها مكّية: إنّ هذه الآية في كفار قريش، وقال مَن جعل هذه الآية منها مدنية:» إن هذه الآية نزلت في المنافقين «.

وقال مقاتل:» نزلت في ثقيف؛ لأنهم قالوا للنبي – ﷺ –: حُطَّ عنّا الصلاة؛ فإنّا لا ننحَني؛ لأنها مَسَبَّة، فأبى رسول الله – ﷺ –، وقال: «لا خير في دين لا صلاة فيه»".

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48).

أي: وإذا قِيلَ في الدُّنيا[123] لأولئك المجرِمينَ: صَلُّوا للهِ تعالى، لا يفعَلونَ.

قال تعالى: وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ [القلم: 43].

وقال سُبحانَه: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ [البينة: 5].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49).

أي: عَذابٌ وهَلاكٌ وخِزْيٌ يومَ القيامةِ للمُكَذِّبينَ بالحَقِّ.

---

(123) اختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه ذلك، على ثلاثة أقوال: الأول: أنّ ذلك يوم القيامة حين يُدعَون إلى السجود فلا يستطيعون.

وهذا قول ابن عباس.

والثاني: أنّ ذلك في الدنيا.

وهذا قول قتادة.

والثالث: أنّ ذلك في الدنيا، وعُني بالركوع في هذا الموضع الصلاة.

وهذا قول مجاهد.

واختار ابنُ جرير (٢٣/ ٦١٤) العموم، وأنّ ذلك خبر من الله تعالى عن مخالفة هؤلاء المجرمين، فقال: «أولى الأقوال في ذلك أن يُقال: إنّ ذلك خبر من الله -تعالى ذِكْره- عن هؤلاء القوم المجرمين أنهم كانوا له مخالفين في أمره ونهيه، لا يأتمرون لأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٥١١) عن بعض المتأولين أنه «عني بالركوع: التواضع».

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50).

أي: فبأيِّ كلامٍ بعْدَ هذا القُرآنِ يُؤمِنونَ إنْ لم يُؤمِنوا به، معَ كَمالِ صِدْقِه، ووُضوحِ حُجَجِه؟!

قال تعالى: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا [النساء: 87].

وقال سُبحانَه: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [الزمر: 23].

وقال عزَّ وجلَّ: تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ [الجاثية: 6].

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الحادي والأربعونَ

ويَليه المجلَّدُ الثَّاني والأربعونَ، وأوَّله: تفسير سُورة النَّبَإِ

الفهرس

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.
لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

المغني في التَّفْسِيرِ

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا